الفردوس الأعلى

فضائله، خصائصه، أسباب الوصول إليه

بقلم

حمد حمود التميمي

الطبعة الثانية – طبعة مزيدة ومنقحة

1437هـ



الفردوس الأعلى

فضائله، خصائصه، أسباب الوصول إليه

بقلم

حمد حمود التميمي



الطبعة الثانية – طبعة مزيدة ومنقحة

١٤٣٧هـ



بسم الله الرحمن الرحيم

۞ مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على من بعثه الله رحمة للعالمين أما بعد:

فهذه الطبعة الثانية من كتاب الفردوس الأعلى بحلته الجديدة بعد تعديلات وإضافات على الطبعة الأولى التي نزلت من قبل وهذه هي النسخة المعتمدة للكتاب والله أسأل أن ينفع به المسلمين.

وصلى الله على نبينا محمد وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين.

حمد حمود التميمي

۞ المقدمة:

الحمد لله الذي علا على جميع خلقه، واستوى على عرشه استواء يليق بجلاله وعظمته، وخلق الجنة ليجزي بها عباده المؤمنين بحكمته، وجعل جنة الفردوس أعلاها وأفضلها، وجعل عرشه العظيم سقفها، وبجواره وقربه شرفها، وبأفضل وأكمل أنواع النعيم ملأها، وبيده الكريمة غرس كرامتها.

ثم الصلاة والسلام، على نبينا محمد الهادي إلى طريق دار السلام، الذي أنار للبشرية سبل السلام، وأخرجها إلى الهدى والنور بعد التيه والظلام.

أما بعد:

فإن الله تعالى الحكيم الحكم العدل خلق الخلق لعبادته، وأوجدهم لطاعته، ولم يجعل خلقه ولا عبادته صنفا واحدا بل صنف خلقه أصنافا في الخلق وفي الدين وصنف عبادته وطاعته أصنافا عدة ومتنوعة ومختلفة، فصنفهم في الخَلق أصنافا، فمنهم الطويل والقصير، والجسيم والنحيل، والأبيض والأسود، وصنفهم أيضا في الخُلق أصنافا، فمنهم الكريم والبخيل، والشجاع والجبان، والعاقل والجاهل، وكما اختلفوا في خَلقهم وخُلقهم كذا اختلفوا في أعمالهم وطاعاتهم وعباداتهم كما وكيفا على اختلاف العبادات وتنوعها، فمنهم السابق المكثر فيها، ومنهم المقتصد فيها، ومنهم الظالم لنفسه والمقصر فيها، فلم يجعلهم سبحانه على مرتبة واحدة في العمل، وبناء على اختلاف أعمالهم سيختلف عند العدل الحكيم جزاؤهم ولابد، فقد أعد الله تعالى لعباده الجنة جزاء على أعمالهم، وجعلها درجات متفاوتة بناء على اختلاف أعمالهم وما قدموه لأنفسهم، ففي جنة عرضها السموات والأرض هناك ربض (أي أسفل وأساس الجنة) ووسط وأعلى، فلما اختلفوا في العمل والعبادة اختلفوا في الجزاء، فكلما علا العمل وعظم كلما علت الدرجات، وكلما علت الدرجات كلما علا النعيم واللذات والخصائص، وكلما قصَّر الشخص في العمل وقلَّ عمله كلما سفلت منزلته في الجنة، وكلما سفلت منزلته كلما صار النعيم أقل من الذي فوقه وهكذا، وهذا الأمر سارٍ في المؤمنين أجمعين.

وقد جعل الله تعالى أعلى درجة في الجنة الفردوس الأعلى، وجعل فيها من النعيم واللذات والخصائص ما لا يحيطه الخبر والوصف كما سيأتي إن شاء الله، وجعل أهله أفضل الناس والخلق.

قال ابن القيم في الحادي: (وقد اتخذ الرب وتعالى من الجنان دارا اصطفاها لنفسه، وخصها بالقرب من عرشه، وغرسها بيده، فهي سيدة الجنان، والله سبحانه وتعالى يختار من كل نوع أعلاه وأفضله، كما اختار من الملائكة جبريل، ومن البشر محمدا، ومن السموات العليا، ومن البلاد مكة، ومن الأشهر الأشهر الحرم، ومن الليالي ليلة القدر، ومن الأيام يوم الجمعة، ومن الليل وسطه، ومن الأوقات أوقات الصلوات إلى غير ذلك، فهو سبحانه وتعالى:(يخلق ما يشاء ويختار)) انتهى.

ولما كانت الجنة سلعة الله الغالية، وكان الفردوس الأعلى فيها بهذه المنزلة، كان حقيقا بأن يطلب وأن يتعب في سبيل تحصيله، وأن يتكلم ويخبر عنه وأن تؤلف فيه الكتب، وتلقى فيه الخطب، وتقام لأجله المحاضرات والندوات، ولما لم أجد كتابا في الساحة يختص بالكلام على الفردوس الأعلى – جعلنا الله من أهله – وهو حقيق بذلك، استخرت الله تعالى في تأليف هذا الكتاب في الفردوس الأعلى، وما يتعلق به، تحريضا للخلق كما حرض محمد صلى الله عليه وسلم من قبل على طلبه وسؤاله من الله تعالى، لعل الله تعالى يجود به على سائله وطالبه.

وقد قسمت الكتاب إلى الأبواب الآتية:

الباب الأول : تعريف الفردوس لغة وشرعا.

الباب الثاني : الجنة سعتها ودرجاتها.

الباب الثالث : أسماء الفردوس الأعلى.

الباب الرابع : فضائل وخصائص الفردوس الأعلى.

الباب الخامس : سبل الوصول إلى الفردوس الأعلى.

الباب السادس : من لا يدخل جنة الفردوس الأعلى.

الباب السابع : علو الهمة.

خاتمة.

فهارس.

والله أسأل أن يجعل له القبول والنفع في عباده، وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم وذخرا لي يوم القيامة، ولا يجعل لأحد منه شيئا، وأن يجعلني من أهل الفردوس الأعلى، وقارئ الكتاب، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

* * * *

۞ الباب الأول: معنى الفردوس لغة وشرعا

فصل المعنى اللغوي للفردوس :

بحثت في كتب اللغة، فوجدت أن معنى الفردوس اللغوي يدور على عدة معان، وهي:

المعنى الأول : البستان الذي فيه الكرم والأشجار، والذي يجمع كل ما يكون في البستان، وخضرة الأعناب والأشجار.

المعنى الثاني : السعة، الفردسة السعة، وصدر مفردس أي واسع.

المعنى الثالث : الصرع، الفردسة الصرع، وفردسه صرعه على الأرض.

المعنى الرابع : المغالاة في الحشو والاكتناز، مفردسا محشوا مكتنزا، وفردسه حشاه وغلا في حشوه.

المعنى الخامس : الأودية التي تنبت ضروبا من النبت، والوادي الخصيب عند العرب كالبستان.

فصل المعنى الشرعي للفردوس :

الفردوس الأعلى : درجة في الجنة هي أعلى وأفضل درجاتها، وسقفها عرش الرحمن.

كما قال النبي صلى الله عليه وسلم :(**إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتموا الله فاسألوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة، وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة**) رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وبعض المعاني اللغوية السابقة منطبقة على الفردوس :

١. فمعنى البستان موجود بالفردوس بأعلى وجود له في الكون، فهو مملوء من البساتين والخضرة والأشجار والفاكهة، وبساتين الفردوس لا مثيل لها، ولا أفضل منها مطلقا.

٢. ومعنى السعة موجود في الفردوس كما سيأتي إن شاء الله، فهو أوسع الجنان.

٣. ومعنى الحشو والاكتناز موجود في الفردوس، فقد ملئت وحشيت وزيد في حشوها بأنواع النعيم واللذات.

* * * *

۞ الباب الثاني: الجنة سعتها ودرجاتها

الجنة دار عظيمة، ملئت بأنواع النعيم والخيرات، ينتقل إليها المؤمنون بعد يوم القيامة، جزاء على أعمالهم التي عملوها في الدنيا.

فصل سبب خلق الله تعالى للجنة:

أعد الله تعالى الجنة وخلقها جزاء لعباده المؤمنين على ما قدموه من الأعمال الصالحة في الدنيا، وهذا من كرمه العظيم سبحانه، وإلا فهو سبحانه يستحق أن يعبد بدون جزاء، ولكن بحكمته سبحانه وكرمه أوجد الجنة لذلك.

فصل سعة الجنة:

الجنة من أعظم مخلوقات الله تعالى، فقد جاء في عظمتها وسعتها ما تبهر منه العقول، وتعجب منه الأفئدة، فقد أخبر سبحانه بأن عرضها السموات والأرض كما قال تعالى: ﴿ **وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ** ﴾[آل عمران/١٣٣]، وقال أيضا: ﴿ **سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ** ﴾ [الحديد/٢١]، والسموات سبع، وما بين سماء وسماء مسيرة خمسمائة عام، وكثف كل سماء مسيرة خمسمائة عام، وما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام، كما ورد عن ابن مسعود رضي الله عنه قال (ما بين السماء الدنيا والتي تليها مسيرة خمسمائة عام، وما بين كل سماء مسيرة خمسمائة عام، وما بين السماء السابعة والكرسي مسيرة خمسمائة عام) رواه الطبراني في الكبير وابن خزيمة في التوحيد، وصحح إسناده الذهبي في العلو، أما حديث (**كثف كل سماء مسيرة خمسمائة عام**) فقد ورد عند الإمام أحمد في مسنده بإسناد ضعيف، فيكون عرض الجنة مسيرة سبعة آلاف وخمسمائة عام بحساب ما سبق من السموات وكثافتها، فإذا كان هذا عرضها فما بالك بطولها ؟ وقد ورد أن طولها مائة درجة

كما قال صلى الله عليه وسلم: (**إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتموا الله فاسألوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة، وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة**) رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، وما بين الدرجة والدرجة كما بين السماء والأرض، وما بين السماء والأرض كما سبق خمسمائة عام، فيكون ارتفاع الجنة بمقدار خمسين ألف عام.

فما بالك بجنة عرضها مسيرة سبعة آلاف وخمسمائة عام، وارتفاعها مسيرة خمسين ألف عام كيف تكون ؟ فيا لله العظيم ما أعظمها من جنة وما أوسعها وأجلها، ولذا فإنها تتسع لجميع المؤمنين على منتهى عددهم من لدن آدم إلى يوم القيامة، بل وزيادة، فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (**ولا يزال في الجنة فضل، حتى ينشئ الله لها خلقا، فيسكنهم فضل الجنة**) رواه مسلم، وهذا أيضا مع أزواجهم وولدانهم وغير ذلك.

فصل درجات الجنة وكيفية بلوغها:

خلق الله تعالى الجنة درجات بعضها أعلى من بعض، فهي جنان كثيرة في جنة عظيمة، كما قال صلى الله عليه وسلم لأم حارثة: (**ويحك، أو هبلت ؟ أو جنة واحدة هي ؟ إنها جنان كثيرة وإنه** – أي حارثة – **في جنة الفردوس**) ويكون الناس في هذه الدرجات بحسب أعمالهم، فكما أن في الأشخاص فاضل ومفضول، وكذا في الأعمال فاضل ومفضول، فكذا الجنة فيها فاضل ومفضول، قال تعالى: ﴿ **انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلْآَخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا** ﴾ [الإسراء/٢١] فنزول درجات الجنة يكون بحسب الأعمال، وبحسب اختلافها في الكم والكيف والنوع، قال تعالى: ﴿ **وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا** ﴾ [الأنعام/١٣٢] وقال صلى الله عليه وسلم: (**إن أهل الجنة إذا دخلوها نزلوا فيها بفضل أعمالهم**) رواه الترمذي وضعفه الألباني في ضعيف الترمذي، وقد أقسم الله سبحانه بأن سعي الناس وعملهم مختلف، فقال تعالى ﴿ **وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى (١) وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى (٢) وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى (٣) إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى** ﴾ [الليل ١– ٤] فإذا كان السعي مختلفا، فلابد أن يكون الجزاء مختلفا.

قال شيخ الإسلام في المجموع: (والجنة درجات متفاضلة تفاضلا عظيما، وأولياء الله المؤمنون المتقون في تلك الدرجات بحسب إيمانهم وتقواهم) انتهى.

قال ابن القيم في مفتاح دار السعادة: (فإن الله سبحانه جعل الجنة دار جزاء وثواب، وقسم منازلها بين أهلها على قدر أعمالهم) انتهى كلامه.

قال المناوي في الفيض: (فرفع الدرجات في الجنة بالأعمال ونفس الدخول بالفضل) انتهى كلامه.

ودرجات الجنة قسمان:

١. درجات كبرى، وهي مائة درجة يكون نيلها بالأعمال الفاضلة الكبرى، فعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**الجنة مائة درجة بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، وإن الفردوس أعلاها درجة ومنها تفجر أنهار الجنة الأربعة، ومن فوقها يكون العرش، فسلوه الفردوس**) رواه الترمذي، وصححه الألباني في صحيح الجامع.

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**الجنة مائة درجة، كل درجة منها ما بين السماء والأرض، وإن أعلاها الفردوس، وإن أوسطها الفردوس، وإن العرش على الفردوس، منها تفجر أنهار الجنة، فإذا ما سألتم فسلوه الفردوس**) رواه ابن ماجه، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه.

وقال صلى الله عليه وسلم: (**إن في الجنة مائة درجة أعدها للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتموا الله فاسألوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة، وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة**) رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، فالجهاد لما كان من أعظم الأعمال أجرا، وأكثره

فضائلا، وهو ذروة سنام الإسلام كان له الدرجات الكبرى في الجنة، به تبلغ هذه الدرجات.

٢. درجات صغرى، وهي أكثر من مائة درجة، وهذه الدرجات الصغرى تكون متخللة للدرجات الكبرى، ويكون نيلها بالأعمال الصغرى فقد قال صلى الله عليه وسلم: (**يقال لصاحب القرآن : اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلك عند آخر آية تقرأها**) رواه أبو داود عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما وقال الألباني في صحيح أبي داود: حسن صحيح.

وهذا يدل على أن درجات الجنة كثيرة، إذ عدد آي القرآن ستة آلاف ومائتان وستة وثلاثون على اختلاف في ذلك.

فحفظ آية من القرآن لا يوازي ولا يقارب عمل الجهاد في سبيل الله كما هو معلوم.

وورد أيضا عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (**صلاة الرجل في الجماعة تضعف على صلاته في بيته وفي سوقه خمسا وعشرين ضعفا، وذلك أنه إذا توضأ فأحسن الوضوء، ثم خرج إلى المسجد لا يخرجه إلا الصلاة، لم يخط خطوة إلا رفعت له بها درجة، وحط عنه بها خطيئة، فإذا صلى لم تزل الملائكة تصلي عليه ما دام في مصلاه، اللهم صل عليه، اللهم ارحمه، ولا يزال أحدكم في صلاة ما انتظر الصلاة**) رواه البخاري، فأفاد أن في الخطوة الواحدة إلى المسجد رفع درجة، ولا يقال أن مائة من هذه الدرجات المذكورة تنال بها درجة الفردوس الأعلى، إذ لو كان كذلك للزم من أول مرة يذهب بها الشخص للمسجد أن يبلغ الفردوس الأعلى بخطواته، ولا قائل بهذا.

وبهذا التقسيم يجمع بين الأحاديث التي تفيد أن الجنة مائة درجة، والأحاديث التي تفيد أنها أكثر من ذلك والله أعلم.

قال المناوي في الفيض: ((**في الجنة مائة درجة**) سبق أنه لا تعارض بينه وبين الأخبار الدالة على زيادة درجتها على المائة، لخبر إن قارئ القرآن يصعد بكل آية معه درجة حتى يقرأ آخر شئ معه، لأن تلك المائة درجات كبار، وكل درجة منها تتضمن درجات صغارا (**ما بين كل درجتين مائة عام**) وفي رواية خمسمائة وفي أخرى أزيد وأنقص، ولا تناقض لاختلاف السير والسرعة والبطء، والنبي صلى الله عليه وسلم ذكر ذلك تقريبا للأفهام، أو خطابا لكل مؤمن بما يليق به من المقام) انتهى كلامه.

وجاءت الأحاديث في هذه المائة درجة الكبار كما سبق بروايات مطلقة، وبروايات أخرى مقيدة أن هذه المائة أعدت للمجاهدين في سبيل الله، ولا تعارض بينها، فرواية الإطلاق تفيد أن الجنة مائة درجة من الدرجات الكبار، ورواية التقييد بالمجاهدين تفيد أن أعظم ما تنال به هذه الدرجات المائة هو الجهاد في سبيل الله، ولا يمنع هذا من بلوغ تلك الدرجات بغير الجهاد، إذ أن الفردوس الأعلى من هذه الدرجات المائة في الروايات المطلقة والمقيدة كما سبق في الأحاديث، وهو ينال أيضا بغير الجهاد كما سيأتي إن شاء الله في سبل الوصول إلى الفردوس، وكذا الرفعة في درجات الجنة تنال بغير الجهاد لكن من أعظم الأعمال تأثيرا في رفعة الدرجات وأسرعها في نيل هذه المائة الجهاد.

قال الحافظ في الفتح في كلامه على حديث (**في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين**...) (وفيه إشارة إلى أن درجة المجاهد قد ينالها غير المجاهد، إما بالنية الخالصة، أو بما يوازيه من الأعمال الصالحة، لأنه أمر الجميع بالدعاء بالفردوس، بعد أن أعلمهم أنه أعد للمجاهدين) انتهى كلامه.

وقد جاءت الروايات تسبقها (**في**) وبدونها، ففي بعض الأحاديث (**في الجنة مائة درجة**) وفي بعضها (**الجنة مائة درجة**) بدون (**في**) ففي الرويات التي بدونها تفيد حصر الجنة بمائة درجة، وبالروايات التي فيها (**في**) لا تفيد الحصر ولا الزيادة.

وبعض العلماء يرى أن هذه المائة درجة هي خاصة بالمجاهدين، وهي من جملة درج الجنة وليست هي كلها درج الجنة، بل هي أكثر، قال ابن القيم في الحادي: (وقد ثبت في

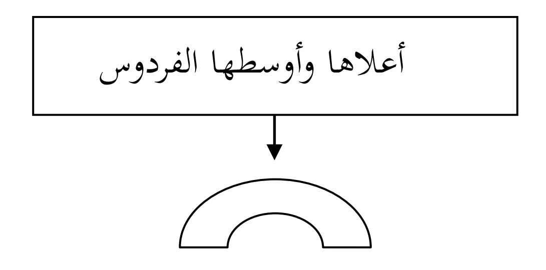
الصحيحين عنه أنه قال: (**الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض**) وهذا يدل على أنها في غاية العلو والارتفاع والله أعلم.

والحديث له لفظان، هذا أحدهما، والثاني: (**إن في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض أعدها الله للمجاهدين في سبيله**) وشيخنا يرجح هذا اللفظ، وهو لا ينفي أن يكون درج الجنة أكبر من ذلك، ونظير هذا قوله في الحديث الصحيح (**إن لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة**) أي من جملة أسمائه هذا القدر، فيكون الكلام جملة واحدة في الموضعين، ويدل على صحة هذا أن منزلة نبينا فوق هذا كله في درجة في الجنة ليس فوقها درجة، وتلك المائة ينالها آحاد أمته بالجهاد) انتهى كلامه.

وما استدل به ابن القيم من منزلة النبي صلى الله عليه وسلم على إمكان زيادة الدرجات على مائة درجة لا يصح، لأن منزلته صلى الله عليه وسلم تابعة للفردوس الأعلى، فإنه فيه كما سيأتي، وهو من المائة درجة.

فصل شكل الجنة ورسمها:

قال كثير من العلماء بأن الجنة مقببة الشكل على شكل القبة أو القوس هكذا:



واستدلوا بحديث (**فإذا سألتموا الله فاسألوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة، وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة**) رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه ، فقد أخبر في هذا الحديث أن الفردوس أعلى الجنة ووسط الجنة، ومعلوم أن الأوسط إنما يكون في الأعلى إذا كان الشكل مقببا كما سبق.

قال ابن القيم في الحادي: (والجنة مقببة أعلاها وأوسعها ووسطها هو الفردوس، وسقفه العرش كما قال في الحديث الصحيح : (**إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس، فإنه وسط الجنة وأعلى الجنة، فوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة**)) انتهى.

قال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى: (وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :(**إذا سألتم الله الجنة فاسألوه الفردوس فإنها أعلى الجنة وأوسط الجنة وسقفها عرش الرحمن**) فقد أخبر أن الفردوس هي الأعلى والأوسط، وهذا لا يكون إلا في الصورة المستديرة، فأما المربع ونحوه فليس أوسطه أعلاه بل هو متساو) انتهى كلامه.

لكن يرد عليه أنه ورد في النصوص التفريق بين وسط الجنة وأعلاها في المكان، فجاء عن فضالة بن عبيد رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: (**أنا زعيم** – والزعيم الحميل – **لمن آمن بي وأسلم وهاجر ببيت في ربض الجنة وببيت في وسط الجنة، وأنا زعيم لمن آمن بي وأسلم وجاهد في سبيل الله ببيت في ربض الجنة وببيت في وسط الجنة وببيت في أعلى غرف الجنة، فمن فعل ذلك فلم يدع للخير مطلبا ولا من الشر مهربا، يموت حيث شاء أن يموت**) رواه النسائي والحاكم، وقال الذهبي صحيح على شرط البخاري ومسلم، وصححه الألباني في صحيح النسائي.

وقال صلى الله عليه وسلم: (**أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقا، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحا، وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه**) رواه أبو داود عن أبي أمامة رضي الله عنه، وحسنه الألباني في صحيح الجامع.

ففرق بين الوسط والأعلى فدل على أن وسط الجنة ليس في أعلاها، فيكون المراد بالأوسط في حديث أبي هريرة السابق (**فاسألوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة**) الأفضل والأعدل، كما قال صلى الله عليه وسلم: (**الوالد أوسط أبواب الجنة**)رواه الترمذي، وصححه الألباني في صحيح الجامع، قال البيضاوي كما في الفيض (أي خير الأبواب وأعلاها) انتهى.

قال الحافظ: (قوله (**أوسط الجنة وأعلى الجنة**) المراد بالأوسط هنا الأعدل والأفضل كقوله تعالى: (وكذلك جعلناكم أمة وسطا) فعلى هذا عطف الأعلى عليه للتأكيد) انتهى.

وعلى هذا فليس هناك شيء يعتمد عليه من الأدلة في هذا الباب، فنقول الله أعلم.

فصل درجات الفردوس:

سبق أن بينا أن الدرجات الكبرى في الجنة تحوي على درجات صغرى فيها، وأعلى هذه الدرجات الكبرى الفردوس الأعلى كما ورد في حديث عبادة بن الصامت (**وإن الفردوس أعلاها درجة**) فهو يحوي أيضا على درجات صغرى فيه، فليس أهل الفردوس متساويين في النعيم والدرجة، والدليل على هذا أن من سكان الفردوس النبيين والصديقين والشهداء، ومعلوم أنهم يتفاضلون وليسوا على درجة واحدة، وقد ورد عند الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**سلوا الله لي الوسيلة أعلى درجة في الجنة لا ينالها إلا رجل واحد و أرجو أن أكون أنا هو**) وصححه الألباني في صحيح الجامع، ومعلوم أن أعلى درجة في الجنة هي الفردوس الأعلى، إذ ليس فوقه إلا العرش، وأفاد الحديث بأن أعلى درجة هي الوسيلة، وأنها لرجل واحد وهو النبي صلى الله عليه وسلم، فهذا يدل على أن الفردوس درجات وأن الوسيلة أعلى درجة منه.

قال ابن القيم في الحادي: (وسميت درجة النبي صلى الله عليه وسلم الوسيلة لأنها أقرب الدرجات إلى عرش الرحمن، وهي أقرب الدرجات إلى الله، وأصل اشتقاق لفظ الوسيلة من القرب، وهي فعيلة من وسل إليه إذا تقرب إليه.

قال لبيد:

بلى كل ذي رأي إلى الله واسل

ومعني الوسيلة من الوصلة ولهذا كانت أفضل الجنة وأشرفها وأعظمها نورا) انتهى.

وقال أيضا: (والقربى والزلفى واحد، وإن كان في الوسيلة معنى التقرب إليه بأنواع الوسائل،

وقال الكلبي اطلبوا إليه القربة بالأعمال الصالحة، وقد كشف سبحانه عن هذا المعنى كل الكشف بقوله: (**أولئك الذين يدعون يبتغون إلى رهم الوسيلة أيهم أقرب**) فقوله أيهم أقرب هو تفسير للوسيلة التي يبتغيها هؤلاء الذين يدعوهم المشركون من دون الله، فيتنافسون في القرب منه، ولما كان رسول أعظم الخلق عبودية لربه، وأعلمهم به وأشدهم له خشية، وأعظمهم له محبة، كانت منزلته أقرب المنازل إلى الله، وهي أعلى درجة في الجنة، وأمر النبي صلى الله عليه وسلم أمته أن يسألوها له، لينالوا بهذا الدعاء زلفى من الله وزيادة الإيمان، وأيضا فإن الله سبحانه قدرها له بأسباب منها دعاء أمته له بها بما نالوه على يده من الإيمان والهدى صلوات الله وسلامه عليه) انتهى.

قال المناوي بعد كلامه على أن الفردوس أعلى درجة في الجنة قال: (واستشكل بخبر أحمد عن أبي هريرة مرفوعا (**إذا صليتم علي فاسألوا لي الوسيلة أعلى درجة في الجنة لا ينالها إلا رجل واحد وأرجو أن أكون أنا هو**) وفي حديث آخر (**الوسيلة درجة عند الله ليس فوقها درجة فاسألوا لي الوسيلة**).

فقضيته أن الوسيلة أعلى درجات الجنة وهي خاصة به، فهي أعلى الفردوس، وجمع بأن الفردوس أعلى الجنة، وفيه درجات أعلاها الوسيلة، ولا مانع من انقسام الدرجة الواحدة إلى درجات بعضها أعلى من بعض) انتهى كلامه.

وقد جاء أيضا أن الفردوس جنات وليس جنة واحدة كما جاء عن أبي بكر بن أبي موسى عن أبيه – قال حماد لا أعلمه إلا قد رفعه – قال :(**جنتان من ذهب للمقربين، ومن دونهما جنتان من ورق لأصحاب اليمين**) أخرجه الطبري وابن أبي حاتم ورجاله ثقات كما قال الحافظ في الفتح، والمقربين هم أهل الفردوس كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى وأفاد بأن لهم جنتان.

وكذا أطلق الله تعالى في كتابه الجمع فقال: ﴿ **جَنَّاتِ عَدْنٍ** ﴾ في غير ما آية في كتابه وقد سبق أن جنة عدن هي الفردوس فلعل المقصود بها هي درجات الفردوس نفسه.

قال ابن القيم في النونية :

والجنة اسم الجنس وهي كثيرة ... جدا ولكن أصلها نوعان
ذهبيتان بكل ما حوتاه من ... حلي وآنية ومن بنيان
وكذاك أيضا ففضة ثنتان من ... حلي وبنيان وكل أوان
لكن دار الخلد والمأوى وعد ... ن والسلام إضافة لمعان
أوصافها استدعت إضافتها إليـ ... ـها مدحة مع غاية التبيان
لكنما الفردوس أعلاها وأو ... سطها مساكن صفوة الرحمن
أعلاه منزلة لأعلى الخلق منـ ... ـزلة هو المبعوث بالقرآن
وهي الوسيلة وهي أعلى رتبة ... خلصت له فضلا من الرحمن
ولقد أتى في سورة الرحمن تفـ ... ـضيل الجنان مفصلا ببيان
هي أربع ثنتان فاضلتان ثم ... يليهما ثنتان مفضولان
فالأوليان الفضليان لأوجه ... عشر ويعسر نظمها بوزان
وإذا تأملت السياق وجدتها ... فيه تلوح لمن له عينان
سبحان من غرست يداه جنة الـ ... ـفردوس عند تكامل البنيان
ويداه أيضا أتقنت لبنائها ... فتبارك الرحمن أعظم بان
هي في الجنان كآدم وكلاهما ... تفضيله من أجل هذا الشأن

وقال أيضا :

لكن عاليها هو الفردوس مسـ ... ـقوف بعرش الخالق الرحمن
وسط الجنان وعلوها فلذاك كا ... نت قبة من أحسن البنيان
منه تفجر سائر الأنهار فالـ ... ـينبوع منه نازل بجنان

* * * *

۞ الباب الثالث : أسماء الفردوس

الشيء عند العرب كلما عظم قدره كلما تعددت أسماؤه، كالأسد، فله أكثر من اسم، وكذا السيف، وغير ذلك، والفردوس الأعلى من الجنة له أسماء أخرى غير هذا، ورد في النصوص الشرعية، فمنها :

أولا : جنة عدن :

ومعنى عدن مأخوذ من عدن بالمكان أي أقام، أي جنة إقامة وخلود دائم، وقد ورد في النصوص ما يفيد أن جنة عدن هي الفردوس، إذ الصفات والخصال التي جاءت في جنة عدن تتشابه مع الفردوس فمن ذلك :

قال السندي في شرحه لحديث: (**وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن**) رواه البخاري، بعد أن ذكر الوجوه في معناه (وعلى الوجهين فالحديث مسوق لإفادة كمال قرب أهل جنة عدن منه تعالى) انتهى من شرح ابن ماجه.

فهذا يفيد أن جنة عدن هي أقرب الجنات إلى الله وسيأتي إن شاء الله تعالى أن الفردوس هو أقرب الجنات إلى الله تعالى.

وقد ورد عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**جنان الفردوس أربع، ثنتان من ذهب حليتهما وآنيتهما وما فيهما، وثنتان من فضة آنيتهما وحليتهما وما فيهما، وليس بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن، وهذه الأنهار تشخب من جنة عدن ثم تصدع بعد ذلك أنهارا**) أخرجه أحمد، قال الهيثمي (ورجاله رجال الصحيح) وضعفه الألباني، والحديث فيه الحارث بن عبيد قال عنه الحافظ بن حجر صدوق يخطئ، فقد أفاد هذا الحديث أن جنة عدن منها تشخب الأنهار وهذا وصف للفردوس كما سيأتي.

وقال تعالى ﴿ **وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى (٧٥) جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ** ﴾ [طه ٧٥- ٧٦]، فهنا أبدل الدرجات العلى بجنات عدن، فدل على أن الدرجات العلى هي جنات عدن، وسيأتي إن شاء الله أن الدرجات العلى من أسماء الفردوس.

وقال تعالى: ﴿ **وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** ﴾ [التوبة/ ٧٢] فهو هنا ذكر الجنات مطلقة، ثم ذكرها مقيدة، والتكرار هنا ليس عبثا، تعالى الله عن ذلك، بل المراد من ذلك أن الفضل الأول والجنات الأولى غير الجنات الثانية، ولهذا أطلق في الأولى الجنات، وقيدها في الثانية، ولهذا أيضا بدأ بالتدريج فذكر أولا دخول الجنة مطلقا، ثم ذكر جنة عدن التي هي أعظم وأفضل الجنة، ثم ذكر ما هو أفضل منها وهو رضوان الله تعالى.

وقد روى هناد في الزهد بإسناد صحيح عن عبد الله بن مسعود * **(جنات عدن)** * قال ((بطنان الجنة) يعني وسطها).

ووسط الجنة هو الفردوس كما جاء في الأحاديث.

وقد جاء في جنة عدن كما سيأتي إن شاء الله أنه لا يسكنها إلا نبي أو صديق أو شهيد وسيأتي إن شاء الله تعالى أن ذلك هو الفردوس الأعلى.

وروي عن الحسن قال: (إنما سميت عدن لأنها العرش ومنها تتفجر أنهار الجنة وللحور العدنية الفضل على سائر الحور) رواه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة.

وجاء في كلام العلماء ما يفيد أن جنة عدن هي الفردوس الأعلى فمن ذلك :

قال شيخ الإسلام في المجموع: (والعرش فوق جميع المخلوقات، وهو سقف جنة عدن التي هي أعلا الجنة، كما ثبت في الصحيحين..) انتهى كلامه، وأتى بحديث أبي هريرة السابق في الفردوس الأعلى.

قال ابن القيم في حادي الأرواح: (وقال بكر عن أشعث عن الحسن إنما سميت عدن لأن فوقها العرش، ومنها تفجر أنهار الجنة، وللحور العدنية الفضل على سائر الحور) انتهى كلامه.

قال القرطبي في تفسيره : ((**عينا يشرب بها المقربون**) أي يشرب منها أهل جنة عدن – وهم أفاضل أهل الجنة – صرفا، وهي لغيرهم مزاج) انتهى كلامه.

قال المناوي في الفيض عن جنة عدن: (فاصطفاها لنفسه، وخصها بالقرب من عرشه، قال بعضهم فهي سيدة الجنان، وهو سبحانه وتعالى يختص من كل نوع أمثله وأفضله) انتهى كلامه.

وقد سبق كلام السندي في شرح حديث أبي موسى.

ولكن خالف في ذلك ابن القيم فقال في حادي الأرواح وهو يعدد أسماء الجنة: (الاسم السادس: جنات عدن، فقيل هو اسم جنة من جملة الجنات، والصحيح أنه اسم لجملة الجنان، وكلها جنات عدن، قال تعالى: (**جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب**) وقال تعالى: (**جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير**) وقال تعالى: (**ومساكن طيبة في جنات عدن**) والاشتقاق يدل على أن جميعها جنات عدن، فإنه من الإقامة والدوام، يقال عدن بالمكان إذا أقام به، وعدنت البلد توطنته، وعدنت الإبل مكان كذا لزمته فلم تبرح منه، قال الجوهري ومنه جنات عدن أي إقامة، ومنه سمى المعدن بكسر الدال، لأن الناس يقيمون فيه الصيف والشتاء، ومركزه كل شيء معدنه، والعادن الناقة المقيمة في المرعى) انتهى كلامه.

وقد قررنا سابقا الاختلاف والله أعلم.

ثانيا : عليين :

قال ابن جرير: (والعليون جمع معناه شيء فوق شيء، وعلو فوق علو، وارتفاع بعد ارتفاع، كجمع الرجال إذا لم يكن له بناء من واحد واثنيه...) انتهى، ومعلوم أن أعلى شيء هو الله تعالى، ثم العرش، ثم الفردوس الأعلى، إذ العرش سقفه، وقد ورد ما يفيد أن

عليين من أسماء الفردوس الأعلى، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه : عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**إن أهل الجنة يتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب، لتفاضل ما بينهم**) قالوا : يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم، قال: (**بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين**) رواه البخاري، وفي رواية الطبراني في الأوسط (**أهل عليين**) بدل أهل الغرف.

وفي رواية الطبراني عن جابر بن سمرة (**أهل الدرجات العلى**) بدل أهل الغرف، وصححه الألباني في صحيح الجامع.

قال العيني في شرح سنن أبي داود: (قال ابن مالك : عليون اسم لأعلى الجنة، كأنه فعيل من العلو فجمع جمع ما يعقل، وسمي به أعلى الجنة، وله نظائر من أسماء الأمكنة نحو صريفون، وصفون، ونصيبون، وسلحون، وقنسرون، ويبرون، ودارون، وفلسطون) انتهى.

قال المناوي في الفيض: ((**إن أهل عليين**) أعلى الجنة وأشرفها، وكلما علا الشيء وارتفع عظم قدره، ولذا قال تعالى معظما قدره: (**وما أدراك ما عليون**)) انتهى كلامه.

ونقل المناوي في الفيض عن الراغب قال: (عليون اسم أشرف الجنان) انتهى.

وفي عليين أقوال أخرى غير هذا، والله أعلم.

ثالثا : الغرف العلى:

وهذا ليس اسما مباشرا للفردوس، ولكنه أطلق في النصوص وأريد به القصور العالية التي في الفردوس الأعلى.

وقد ورد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه : عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**إن أهل الجنة يتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب، لتفاضل ما بينهم**) قالوا : يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا

يبلغها غيرهم، قال: (**بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين**) رواه البخاري.

قال المناوي في الفيض: ((**أهل الغرف**) جمع غرفة وهو بيت صغير فوق الدار، والمراد هنا القصور العالية في الجنة) انتهى كلامه.

وقد بين في هذا الحديث أن تلك الغرف هي منازل الأنبياء، ومعلوم أن الأنبياء في الفردوس الأعلى إذ لا درجة أعلى منه، فيكون المراد من الغرف هنا الغرف التي في الفردوس الأعلى، ونسبهم إلى الغرف ولم ينسبهم إلى الفردوس تنبيها لفضل الغرف التي حازوها في الفردوس الأعلى.

وقال صلى الله عليه وسلم عن أفضل الشهداء الذين يكون مسكنهم الفردوس الأعلى كما سيأتي: (**أفضل الشهداء الذين يقاتلون في الصف الأول، فلا يلفتون وجوههم حتى يقتلوا، أولئك يتلبطون في الغرف العلى من الجنة، يضحك إليهم ربك، فإذا ضحك ربك إلى عبد في موطن، فلا حساب عليه**) رواه أحمد والطبراني عن نعيم بن هبار رضي الله عنه، وصححه الألباني في صحيح الجامع، وقال البوصيري في الإتحاف والهيثمي في المجمع ورواته ثقات.

فأفاد هذا الحديث بكونهم في الغرف العلى من الجنة، وأفادت أحاديث أخرى كما سيأتي بكونهم في الفردوس الأعلى، فيكون المراد من الغرف العلى أي الغرف التي في الفردوس الأعلى.

رابعا : الدرجات العلى :

عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (**إن أهل الدرجات العلى يراهم من هو أسفل منهم كما يرى الكوكب الدري في أفق السماء و أبو بكر و عمر منهم وأنعما**) رواه الطبراني في الكبير وصححه الألباني في صحيح الجامع.

وقد سبق أن ذكرنا أن هذا الوصف في العلو إنما هو في أهل الفردوس الأعلى وأيضا فإن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما هم أفاضل الناس بعد الأنبياء والمرسلين ودرجتهم في أعلى درجات الجنة وتلك هي الفردوس، وقد أخبر في هذا الحديث أنهم من أهل الدرجات العلى فينبغي أن يكون المقصود هو الفردوس الأعلى.

* * * *

۞ الباب الرابع : فضائل وخصائص الفردوس

تمهيد

قد سبق أن ذكرنا أن الله تعالى قسم الجنة إلى درجات متفاوتة ينزلها الناس بحسب أعمالهم، وهنا يجب أن نعلم أنه كلما ارتفعت الدرجة، كلما زاد نعيمها ولذاتها وفضائلها وخصائصها، وكان فيها من ذلك ما لم يكن في الدرجة التي أسفل منها، وهكذا حتى يصل الأمر إلى أعلى درجة وهي الفردوس الأعلى، فعلى هذا يكون الفردوس قد خص من النعيم والفضائل واللذات بما لم تحوه أي درجة أخرى وأي جنة أخرى، وكان أفضل من غيره من الدرجات مطلقا، كيف لا وهو أفضل درجة في الجنة ؟ بل إن فضائل الفردوس الأعلى من الجنة لا تستطيع وصفه الألسن ولا خطه الأقلام، بل ولا تحويه العقول والأفهام، بل ولم يخطر على أحد من الأنام، بل إن الله تعالى – كما سيأتي إن شاء الله تعالى – لما سأله موسى عن أهل درجة الفردوس ما له من النعيم لم يخبره الله تعالى بذلك، لا عجزا عنه سبحانه عن ذلك، ولكن لعظمته، وفي هذا الباب نعرض عليك بعض ما ورد من فضائل وخصائص الفردوس الأعلى، وهي غيض من فيض، وقليل من كثير، ونقطة من بحر، فما أخرنا به من فضائل الفردوس العظيمة ليست هي كل فضائله، فما أخفي من نعيم الجنة أعظم مما أظهر لنا، وقد قال تعالى في أهل درجة أقل من الفردوس الأعلى: ﴿ **فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ [السجدة/ ١٧]
وقد روى ابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (**يقول الله عزوجل : أعددت لعبادي الصالحين مالا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر**) قال أبو هريرة : ومن بله ما قد أطلعكم الله عليه، اقرأوا إن شئتم : (**فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**) قال : وكان أبو هريرة يقرؤها: (**من قرات أعين**) وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه.

قال السندي في حاشيته على ابن ماجه في معنى (بله) (قيل هو بموحدة مفتوحة وسكون لام وفتح هاء، بمعنى دع أي دع ما أطلعتم عليه من نعيم الجنة وعرفتموها من لذاتها فالذي لم يطلعكم عليه أعظم وأعلى) انتهى كلامه.

وإليك بعض فضائل وخصائص الفردوس الأعلى :

أولا : الفردوس أعلى الجنة :

العلو صفة كمال، ولهذا اتصف الله تعالى به، وهذا أمر مركوز في الفطر أن العالي أفضل من النازل، وأن الأعلى أفضل من الأسفل، وقد جعل الله تعالى الفردوس الأعلى أعلى ما في الجنة، حتى إن أهل الجنة ينظرون إلى أهله كما ينظرون إلى الكوكب الدري الغابر في الأفق لتباعد ما بينهم كما قال صلى الله عليه وسلم: (**إن أهل الجنة يتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب، لتفاضل ما بينهم**) قالوا: يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم، قال: (**بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين**) رواه البخاري.

فنحن ننظر إلى الكوكب البعيد نوره كرأس الإبرة من بعده مع أنه قد يكون أكبر من الأرض بأضعاف، ولكن بعده هو الذي جعلنا ننظر إليه هكذا، فكذا أهل الدرجات العلى والفردوس يُنظر إليهم من بعدهم كالكوكب الغابر لعلوهم العظيم.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه : أن أم الربيع بنت البراء وهي أم حارثة بن سراقة أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: يا نبي الله ألا تحدثني عن حارثة – وكان قتل يوم بدر أصابه سهم غرب – فإن كان في الجنة صبرت وإن كان غير ذلك اجتهدت عليه في البكاء ؟ قال: (**يا أم حارثة إنها جنان في الجنة، وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى**) رواه البخاري، فإنه سماه الفردوس الأعلى بصيغة التفضيل التي تدل على أنه أعلى من غيره.

وأيضا فإنه صلى الله عليه وسلم صرح في الحديث بأنه أعلى الجنة مطلقا فقال صلى الله عليه وسلم: (**إن في الجنة مائة درجة أعدها للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتموا الله فاسألوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة، وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة**) رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ومن الأدلة أيضا ما جاء عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**والفردوس ربوة الجنة وأوسطها وأفضلها**) رواه الترمذي، وصححه الألباني في صحيح الجامع، والربوة ما ارتفع من الأرض والمقصود بها هنا أرفع الجنة وأعلاها.

وهذه فضيلة عظيمة لأهل الفردوس في كونهم يشرفون وينظرون إلى جميع من أسفل منهم من الدرجات بخلاف غيرهم، وفي كونهم لا أحد يعلوهم من الخلق إلا عرش الرحمن عز وجل.

ثانيا : الفردوس الأعلى أنور الجنة :

قد ورد في النصوص تمايز أهل الجنة في النور، وأن نورهم يختلف بحسب منازلهم وأعمالهم، فمنهم من نوره كالقمر ليلة البدر، ومنهم من نوره كأضوء نجم في السماء وغير ذلك، وكذا فإن الجنات والدرجات تختلف في النور بحسب الأعمال والمنازل، فنور وسط الجنة أعلى من نور أسفل الجنة، ونور أعلى الجنة أعلى من نور وسط الجنة، وهكذا كلما علت الجنة كلما علا نورها ونور أهلها، والفردوس أعلى الجنة وعلى ذلك فأعظم نور يكون في الجنة فهو للفردوس الأعلى، قال ابن القيم في الفوائد: (أنزه الموجودات وأظهرها وأنورها وأشرفها وأعلاها ذاتا وقدرا وأوسعها عرش الرحمن عز وجل، ولذلك صلح لاستوائه عليه، وكل ما كان أقرب الى العرش كان أنور وأنزه وأشرف مما بعد عنه، ولهذا كانت جنّة الفردوس أعلى الجنان وأشرفها وأنورها وأجلّها لقربها من عرش الرحمن الذي هو سقفها، وكل ما بعد عنه كان أظلم وأضيق، ولهذا كان أسفل سافلين شرّ الأمكنة وأضيقها وأبعدها من كل خير) انتهى كلامه.

وقد ورد عن أبي سعيد الخدرى رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (**إن الرجل من أهل عليين ليشرف على أهل الجنة، فتضئ الجنة لوجهه كأنها كوكب دري**) رواه أبو داود، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع، ولكن رواه الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**إن الرجل من أهل عليين يشرف على أهل الجنة كأنه كوكب دري، وإن أبا بكر وعمر منهم وأنعما**) وقال الهيثمي ورجاله رجال الصحيح غير سلم بن قتيبة وهو ثقة.

ومن شدة نور الفردوس أنه على بعده على غيره من درجات الجنة بمقدار ألوف السنين فإنهم يرونه كما في الحديث السابق وحديث (**إن أهل الجنة يتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب، لتفاضل ما بينهم**) قالوا : يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم، قال: (**بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين**) رواه البخاري، فإذا كان هذا النور يرى من هذه المسافات، فكيف بمن كان في هذه المنزلة والدرجة.

وكفى بهذا شرفا وفضلا للفردوس.

ثالثا : الفردوس الأعلى أوسع الجنة :

قد سبق أن بينا في باب الجنة سعتها ودرجاتها أن الجنة واسعة جدا في عرضها وطولها، وقد ذكر العلماء أن الجنة كلما علت اتسعت، وكانت أوسع من الدرجة التي أسفل منها، فوسط الجنة أوسع من أسفلها، وأعلاها أوسع من وسطها، قال ابن القيم في حادي الأرواح: (وكلما علت الجنة اتسعت، فعاليها أوسع مما دونه) وقال المناوي في الفيض: (وكلما علت الجنة اتسعت، فعاليها أوسع مما دونه) انتهى كلامه.

ولهذا ورد في الفردوس الأعلى أمر يتعلق بالسعة لم يرد في غيره من الجنان، فقد ورد أن عرش الرحمن الذي هو أعظم المخلوقات يكون سقفا للفردوس كما سيأتي، وكفى بهذا سعة للفردوس، فاتساعها لأن يكون العرش سقفها يدل على إن سعتها عظيمة جدا.

قال الحافظ ابن حجر في الفتح على حديث أبي هريرة في الفردوس: (وفيه عظم الجنة وعظم الفردوس منها) انتهى.

وهذه الفضيلة للفردوس تفيد لساكنيه عظم ملكهم وسعته على ملك غيرهم من أهل الجنة.

رابعا : قرب الفردوس الأعلى وأهله من الله تعالى وتشرفهم بجواره :

وهذا من أعظم فضائل الفردوس، فقرب الله تعالى هو الغاية العظمى التي شمر إليها السالكون، وتنافس من أجلها المتنافسون، فأهل الفردوس هم أقرب الخلق إلى الله تعالى، فما بينهم وبينه إلا العرش، فالعرش سقف الفردوس، والله تعالى فوق العرش، وكفى بهذا شرفا وفضلا للفردوس وأهله، فلو لم يكن للفردوس إلا هذا الفضل لكفى، فكيف وهناك الفضائل العظيمة، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (**إن في الجنة مائة درجة أعدها للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة، وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة**) رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن**) رواه البخاري.

قال السندي في شرحه للحديث بعد أن ذكر الوجوه في معناه (وعلى الوجهين فالحديث مسوق لإفادة كمال قرب أهل جنة عدن منه تعالى) انتهى من شرح ابن ماجه.

وعلى هذا يكون أهل الفردوس الأعلى هم المقربون الذين ذكرهم الله تعالى في كتابه وذكر لهم من الفضائل الشيء العظيم كقوله تعالى ﴿ **وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (١٠) أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ (١١) فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ** ﴾ [الواقعة ١٠-١٢] إلى غير ذلك من الآيات، وسيأتي زيادة بيان في هذا إن شاء الله تعالى.

خامسا : الفردوس الأعلى مسكن أفاضل أهل الجنة ويشرف من ناله بمرافقتهم ومجاورتهم فيه:

أفضل الخلق هم الأنبياء والصديقين والشهداء كما دلت على ذلك النصوص الشرعية ونص عليه العلماء، وهم أفاضل أهل الجنة، قال الحافظ في الفتح : (أكمل النوع الإنساني الأنبياء ثم الأولياء والصديقون والشهداء) انتهى كلامه.

وقال ابن القيم في مفتاح دار السعادة: (فإن أفضل الدرجات النبوة، وبعدها الصديقية، وبعدها الشهادة وبعدها الصلاح، وهذه الدرجات الأربع هي التي ذكرها الله تعالى في كتابه في قوله:(**ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا**)) انتهى كلامه.

قال شيخ الإسلام في المجموع: (وقد قال تعالى: (**فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين**) وهذه الأربعة هي مراتب العباد : أفضلهم الأنبياء ثم الصديقون ثم الشهداء ثم الصالحون) انتهى كلامه.

وكما أن الفردوس أفضل الجنة، فهو أيضا لأفضل الخلق معدٌّ، وقد وعد هؤلاء الأفاضل كما دل على ذلك النصوص الكثيرة بأعلى الدرجات في الجنة، ولا درجة أعلى من الفردوس، فتكون هي درجتهم، وسيأتي إن شاء الله الأدلة على كون هؤلاء من أهل الفردوس في الأعمال الموصلة إلى الفردوس.

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: (في الجنة قصر يدعى عدن، حوله الروح والروح، له خمسة آلاف باب، لا يسكنه أو لا يدخله إلا نبي أو صديق أو شهيد أو إمام عادل) رواه ابن أبي شيبة، ورجاله ثقات كما قال ابن النحاس في المشارع.

وروى أيضا عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: (**في الجنة قصر يدعى عدن، حوله المروج والمروج، له خمسة آلاف باب، لا يسكنه أو لا يدخله إلا نبي أو صديق أو شهيد أو إمام عادل**).

وروى أيضا عن كعب الأحبار: (إن في الجنة ياقوتة ليس فيها صدع ولا وصل، فيها سبعون ألف دار، في كل دار سبعون ألفا من الحور العين، لا يدخلها إلا نبي أو صديق أو شهيد أو إمام عادل أو محكم في نفسه، قال : قلنا : يا كعب ! وما المحكم في نفسه ؟ قال : الرجل يأخذه العدو فيحكمونه بين أن يكفر أو يلزم الاسلام فيقتل).

وروى أيضا عن مجاهد قال: (في الجنة دار لا ينزلها إلا نبي، أو صديق، أو شهيد، أو إمام عدل، أو مخير بين القتل والكفر يختار القتل على الكفر، فيختار أن يلزم الإسلام).

وروى ابن المبارك عن الحسن قال: قال عمر بن الخطاب: حدثني يا كعب عن جنات عدن، قال: نعم يا أمير المؤمنين، قصور في الجنة لا يسكنها إلا نبي أو صديق أو شهيد أو حكم عدل، فقال عمر:(أما النبوة فقد مضت لأهلها، وأما الصديقون فقد صدقت الله ورسوله : وأما الحكم العدل فإني أرجو الله أن لا أحكم بشيء إلا لم آل فيه عدلا، وأما الشهادة فأنى لعمر بالشهادة) وفيه انقطاع.

وروى ابن أبي حاتم عن مجاهد قال: قرأ عمر على المنبر (جنات عدن) فقال: أيها الناس ! هل تدرون ما (جنات عدن) ؟ قصر في الجنة له عشرة آلاف باب، على كل باب خمسة وعشرون ألفا من الحور العين، لا يدخله إلا نبي أو صديق أو شهيد) وفيه انقطاع.

وورد عن الحسن البصري – بإسناد صحيح عند سعيد بن منصور – أنه قال: (جنات عدن، وما يدريك ما جنات عدن ؟ قصر من ذهب لا يدخله إلا نبي أو صديق أو شهيد أو حكم عدل) وعزاه السيوطي في الدر المنثور للمصنف وابن المنذر من كلام كعب.

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**إن الله عزوجل يفتح الذكر في ثلاث ساعات يبقين من الليل، في الساعة الأولى منهن ينظر في الكتاب الذى لا ينظر فيه أحد غيره، فيمحو ما يشاء ويثبت، ثم ينزل في الساعة الثانية إلى جنة عدن، وهي داره التى لم ترها عين، ولم تخطر على قلب بشر، وهي مسكنه، ولا يسكن معه من بنى آدم غير ثلاثة : النبيين والصديقين والشهداء، ثم يقول طوبى لمن دخلك، ثم ينزل في الساعة الثالثة إلى السماء الدنيا بروحه وملائكته، فتنتفض روحه وملائكته، فيقول : قومي بعزتي، ثم يطلع على عباده، فيقول : من يستغفرني أغفر له، من يسألني أعطه، من يدعوني فأستجيب له حتى يطلع الفجر، فذلك يقول : (وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا) فيشهده الله وملائكة الليل وملائكة النهار)** رواه ابن جرير والبزار وهو ضعيف.

فهذه الأخبار – وإن كان بعضها ضعيفا لكن بعضها يشهد لبعض وما سيأتي يشهد أيضا – قد أفادت أن جنة عدن أعدت للأنبياء والصديقين والشهداء.

وقد سبق أن جنة عدن هي الفردوس الأعلى، وكفى بهذا شرفا للفردوس في كونه يسكنه ويقيم فيه أفاضل الخلق من الأنبياء والصديقين والشهداء، وكفى بهذا شرفا لمن نال الفردوس في مرافقتهم في تلك الدرجة، وأن يكونوا من جيرانه، وهذا هو معنى المرافقة في قوله تعالى: ﴿ **وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا** ﴾ [النساء / ٦٩] وهؤلاء المذكورون في الآية هم الرفيق الأعلى كما ورد عن عائشة رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (**ما من نبي يمرض إلا خير بين الدنيا والآخرة**) وكان في شكواه الذي قبض فيه أخذته بحة شديدة فسمعته يقول: (**مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين**) رواه البخاري.

وقد ورد أيضا عند النسائي في الكبرى في نفس الحديث: ((فإذا بصره قد شخص وهو يقول: (**بل الرفيق الأعلى من الجنة**)) فهذا يدل على أنهم مترافقين في العلو في الجنة.

وتفسير هذا الترافق هو كما ورد في الأحاديث السابقة من أن مسكنهم واحد وهو الفردوس الأعلى وجنة عدن، والنصوص الشرعية يفسر بعضها بعضا.

فالمرافقة هنا ليس في مطلق دخول الجنة والكون فيها، فإن ذلك ثابت لأهل الجنة جميعا، فلم يكن لتخصيص هؤلاء الأفاضل بالذكر مزيد خصوصية وفضل، ولكن معنى المرافقة هنا المرافقة والمصاحبة في نفس الدرجة، وهي الفردوس الأعلى، ولذلك في الحديث السابق (**الرفيق الأعلى من الجنة**) وهذا يدل على أن المراد المترافقون الأعلون من أهل الجنة وهم من سبق ذكره.

فإن قيل يلزم من هذا تساوي الأنبياء مع غيرهم في الدرجات، ومعلوم أن الأنبياء أفاضل الخلق وأعلى الخلق في الدرجة، فما هو الجواب ؟

الجواب : أن نقول قد سبق أن ذكرنا أن الفردوس الأعلى درجات وليس درجة واحدة، وأيضا لا يلزم من التساوي في الدرجة التساوي في جميع النعيم فيها، فنعيم الأنبياء في نفس الفردوس ليس كنعيم غيرهم، وإن كانوا جميعا في الفردوس، قال المناوي بعد كلامه على أن الفردوس أعلى درجة في الجنة قال: (واستشكل بخبر أحمد عن أبي هريرة مرفوعا (**إذا**

صليتم علي فاسألوا لي الوسيلة أعلى درجة في الجنة لا ينالها إلا رجل واحد وأرجو أن أكون أنا هو) وفي حديث آخر (**الوسيلة درجة عند الله ليس فوقها درجة فاسألوا لي الوسيلة**).

فقضيته أن الوسيلة أعلى درجات الجنة وهي خاصة به، فهي أعلى الفردوس، وجمع بأن الفردوس أعلى الجنة، وفيه درجات أعلاها الوسيلة، ولا مانع من انقسام الدرجة الواحدة إلى درجات بعضها أعلى من بعض) انتهى كلامه.

وقد ورد ما يدل على أنه يمكن أن يساوي غير الأنبياء الأنبياء في أصل الدرجة، في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه : عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**إن أهل الجنة يتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم**) قالوا: يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم ؟ قال: (**بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين**) رواه البخاري.

فإن النبي صلى الله عليه وسلم أقرهم على قولهم أن تلك منازل الأنبياء، وأثبت أن هناك أناس يبلغونها وينالونها معهم، وهم رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين.

قال الحافظ في الفتح: (ويمكن توجيه (**بلى**) بأن التقدير نعم هي منازل الأنبياء بإيجاب الله تعالى لهم ذلك، ولكن قد يتفضل الله تعالى على غيرهم بالوصول إلى تلك المنازل).

وقال أيضا: (قال ابن التين قيل: إن المعنى أنهم يبلغون درجات الأنبياء، وقال الداودي: يعني أنهم يبلغون هذه المنازل التي وصف، وأما منازل الأنبياء فإنها فوق ذلك، قلت : وقع في حديث أبي هريرة عند أحمد والترمذي (قال: بلى والذي نفسي بيده وأقوام أمنوا بالله ورسوله) هكذا بزيادة الواو العاطفة ففسد تأويل الداودي، والله المستعان) انتهى كلامه.

سادسا : عرش الرحمن سقف الفردوس :

العرش في اللغة سرير الملك، وهنا المقصود به خلق هو أعظم خلق الله يستوي عليه الرب عز وجل، ويدبر الكون من فوقه، والعرش خص بخصائص عظيمة، فهو أعلى المخلوقات على الإطلاق، فليس فوقه إلا الله عز وجل، وهو أعظم المخلوقات على الإطلاق فلا يوازيه في عظمته شيء من المخلوقات.

وهو أنور المخلوقات كما قال ابن القيم في الفوائد: (أنزه الموجودات، وأظهرها وأنورها وأعلاها ذاتا وقدرا عرش الرحمن وكلما قرب إلى العرش كان أنور، وأزهر ولهذا كانت جنّة الفردوس أعلى الجنان وأشرفها وأنورها وأجلّها لقربها من عرش الرحمن الذي هو سقفها ، وكل ما بعد عنه كان أظلم وأضيق، ولهذا كان أسفل سافلين شرّ الأمكنة وأضيقها وأبعدها من كل خير) انتهى كلامه.

وتحفه الملائكة كما قال تعالى: ﴿ **وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ** ﴾ [الزمر: ٧٥].

ويحمله ثمانية حملة من الملائكة العظام كما قال تعالى: ﴿ **وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ** ﴾ [الحاقة: ١٧] ورد عن عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**أذن لي أن أحدث عن ملك من حملة العرش، ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام**) رواه أبو داود، صححه إسناده الذهبي في العلو، والألباني في مختصره.

وقد وصف الله تعالى العرش بثلاث صفات : مجيد، كريم، عظيم، فقال تعالى: ﴿ **ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ** ﴾ [البروج: ١٥] بالكسر على إحدى القراءات بأنه صفة للعرش، وقال تعالى: ﴿ **وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ** ﴾ [التوبة: ١٢٩] وقال تعالى: ﴿ **لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ** ﴾ [المؤمنون: ١١٦].

وأعظم شرف للعرش وخصيصة له أنه موضع استواء الرب عز وجل استواء يليق بجلاله وعظمته كما قال تعالى: ﴿ **خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ** ﴾ [الأعراف: ٥٤].

فهذه بعض خصائص عرش الرحمن، وقد سبق أن ذكرنا أن الجنة درجات بعضها أعلى من بعض، فيكون سقف كل درجة الدرجة التي تليها في الرفعة، وقد شرف الفردوس الشرف العظيم وخص بالخصيصة العظيمة على غيره من الدرجات في كون عرش الرب عز وجل هو سقفه، إذ لا درجة فوقه، وليس فوقه إلا العرش، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (**إن في الجنة مائة درجة أعدها للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتموا الله فاسألوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة، وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة**) رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه.

قال ابن القيم في الحادي: (قال شيخنا أبو الحجاج المزي والصواب رواية من رواه (وفوقُه) بضم القاف على انه أسم لا ظرف أي وسقفه عرش الرحمن) انتهى.

وقال ابن كثير في البداية والنهاية: (ويروى (**وفوقه**) بالفتح على الظرفية وبالضم، قال شيخنا الحافظ المزي وهو أحسن، أي وأعلاها عرش الرحمن) انتهى.

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**الجنة مائة درجة بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، وإن الفردوس أعلاها درجة، ومنها تفجر أنهار الجنة الأربعة، ومن فوقها يكون العرش، فسلوه الفردوس**) رواه الترمذي، وصححه الألباني في صحيح الجامع.

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**الجنة مائة درجة، كل درجة منها ما بين السماء والأرض، وإن أعلاها الفردوس، وإن أوسطها الفردوس، وإن العرش على الفردوس، منها تفجر أنهار الجنة، فإذا ما سألتم فسلوه الفردوس**) رواه ابن ماجه، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه.

قال ابن القيم في الحادي: (وقال صالح بن عبد الكريم : قال لنا فضيل بن عياض : أتدرون لم حسنت الجنة ؟ لأن عرش رب العالمين سقفها.

وقال الحكم ابن أبان عن عكرمة عن ابن عباس : نور سقف مساكنهم نور عرشه.

وقال بكر عن أشعث عن الحسن : إنما سميت عدن لأن فوقها العرش، ومنه تفجر أنهار الجنة، وللحور العدنية الفضل على سائر الحور) انتهى.

فكما يتمتع أهل الفردوس بالنظر إلى منزلتهم، يتمتعون أيضا بالنظر إلى عرش ربهم تعالى من فوقهم مباشرة، وقد ورد عن أبي أمامة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:(**سلوا الله الفردوس، فإنها سرة الجنة، وإن أهل الفردوس ليسمعون أطيط العرش**) رواه الطبراني في الكبير وهو ضعيف جدا، والأطيط هو صوت الرحال إذا ثقل عليها الركبان.

سابعا : نعيم الفردوس أفضل النعيم واللذات :

قد ملأت الجنان بالنعيم واللذات من جميع الأصناف التي تحتويها عقول البشر، والتي أيضا لا تحتويها عقولهم ولا يخطر على بالهم الشيء العظيم جدا، من الحور العين والقصور، والأنهار والمأكولات والمشروبات، والفرش والبناء والذهب والفضة، وغير ذلك، وكلما علت الجنة كلما علا نعيم أهلها، حتى ينتهي النعيم في علوه وفضله إلى نعيم الفردوس الأعلى، فلا نعيم أعلى من نعيمه، ولا لذات أعلى من لذاته لا في الكم ولا في الكيف، فهو أفضل الجنة من حيث النعيم واللذات، ومن حيث كل شيء.

قال صلى الله عليه وسلم: (**فإذا سألتموا الله فاسألوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة، وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة**) رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه.

قال الحافظ: (قوله (**أوسط الجنة وأعلى الجنة**) المراد بالأوسط هنا الأعدل والأفضل كقوله تعالى (**وكذلك جعلناكم أمة وسطا**) فعلى هذا عطف الأعلى عليه للتأكيد) انتهى.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**والفردوس ربوة الجنة وأوسطها وأفضلها**) رواه الترمذي، والربوة ما ارتفع من الأرض، والمقصود بها هنا أرفع الجنة وأعلاها.

وروى ابن جرير عن سمرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**الفردوس ربوة الجنة، وهي أوسطها وأحسنها**) وصححه الألباني بشواهده.

وعن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**إذا سألتم الله تعالى فاسألوه الفردوس، فإنه سر الجنة، يقول الرجل منكم لراعيه: عليك بسر الوادي فإنه أمرعه وأعشبه**) رواه الطبراني، وصححه الألباني بشواهده.

وسر الوادي: أي جوفه وأفضل وأكرم مواضعه، فسرة الجنة أفضل وأحسن ما فيها.

قال المناوي في الفيض: ((**فإنه سر الجنة**) بكسر السين وشد الراء: أفضل موضع فيها والسر جوف كل شيء ولبه خالصه) انتهى.

ولو قارنا بين ما ذكر في النصوص بأنه أعد للسابقين المقربين، وهم أهل الفردوس كما سبق، وبين ما أعد لغيرهم لتبين لك يا أخي الفرق، فمن ذلك :

١. أن السابقين مقربين من الله تعالى، وهذا من أعظم الفضل وهو القرب من الله تعالى، فهم أقرب إلى الله من أصحاب اليمين.

٢. أن حور السابقين أفضل من حور أصحاب اليمين كما قال تعالى عن حور المقربين – ولم يقل مثل ذلك في أصحاب اليمين – ﴿ **فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ (٥٦) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٧) كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ** ﴾ [الرحمن ٥٦– ٥٨] وقال في حور أصحاب اليمين: ﴿ **فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ (٧٠) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٧١) حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ (٧٢) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٧٣) لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ** ﴾ [الرحمن ٧٠–

٧٤] ففي الأولى قال (**قاصرات**) وفي الثانية قال (**مقصورات**) ومن قَصرت طرفها على زوجها بنفسها أفضل ممن قُصرت، وفي الأولى قال (**كأنهن الياقوت والمرجان**) أي في صفاء اللون ولم يقل ذلك في الثانية.

٣. أن جنات السابقين من ذهب، وجنات أصحاب اليمين من فضة، والذهب أفضل من الفضة، كما جاء عن أبي بكر بن أبي موسى عن أبيه – قال حماد لا أعلمه إلا قد رفعه – قال :(**جنتان من ذهب للمقربين، ومن دونهما جنتان من ورق لأصحاب اليمين**) أخرجه الطبري وابن أبي حاتم ورجاله ثقات كما قال الحافظ في الفتح.

٤. أن جنات السابقين أفضل من حيث العيون، فقال تعالى عن عيون المقربين: ﴿ **فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ** ﴾ [الرحمن/ ٥٠] وقال عن عيون أصحاب اليمين: ﴿ **فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ** ﴾ [الرحمن/ ٦٦] (والجارية أفضل من النضاخة، وقال تعالى عن عيون المقربين: ﴿ **إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا (٤) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا** ﴾ [الإنسان ٤–٥] فعباد الله هنا هم المقربين وهم الذين يفجرون تلك العين ويشربون منها صرفا والأبرار، هنا هم أصحاب اليمين، ويشربون من تلك العين ممزوجة.

٥. أن جنات السابقين أفضل من حيث العلو، فهي أعلى من جنات أصحاب اليمين، وإلا لما نالوا القرب من الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿ **وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ** ﴾ [الرحمن/ ٦٢] وهذه الجنتان هي لأصحاب اليمين، ومعنى ذلك أنهما دون الجنتين الأوليين اللتين هما جنات المقربين.

٦. أن جنات السابقين أفضل من حيث المطعومات والأشربة، كما قال تعالى: ﴿ **إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا (٤) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا** ﴾ [الإنسان ٤–٥] فالأبرار يشربونها ممزوجة، وعباد الله وهم

المقربون يشربونها صرفا، وقال تعالى: ﴿ **يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ (٢٥) خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ (٢٦) وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ (٢٧) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ** ﴾ [المطففين ٢٥-٢٨] فالأبرار يشربونها ممزوجة، والمقربون يشربونها محضا صرفا.

٧. أن جنات السابقين أفضل من حيث الخضرة والبساتين والفاكهة، كما قال تعالى عن جنات المقربين: ﴿ **فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ** ﴾ [الرحمن/٥٢].

وقال أيضا عنهم: ﴿ **يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ (١٧) بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ (١٨) لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ (١٩) وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ (٢٠) وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ** ﴾ [الواقعة ١٧- ٢١]..

وقال أيضا عنها: ﴿ **ذَوَاتَا أَفْنَانٍ** ﴾ [الرحمن/٤٨].

وقال عن جنات أصحاب اليمين: ﴿ **فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ** ﴾ [الرحمن/٦٨] والوصف الأول أعظم.

٨. أن جنات السابقين أفضل من حيث الأسرة والفرش، كما قال تعالى: ﴿ **مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ** ﴾ [الرحمن/٥٤]. وقال: ﴿ **عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ (١٥) مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ** ﴾[الواقعة/١٥].

وهذه فضائل عظيمة للمقربين، ولا شك أن المميزات التي تميز المقربين عن أصحاب اليمين أكثر من ذلك، ولكن هذا ما ظهر لنا.

وقد ورد عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**سأل موسى ربه ما أدنى أهل الجنة منزلة ؟ قال: هو رجل يجئ بعد ما أدخل أهل الجنة الجنة، فيقال له: أدخل الجنة، فيقول: أي رب كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم ؟ فيقال له: أترضى أن يكون لك مثل ملك ملك من ملوك الدنيا ؟ فيقول:**

رضيت رب، فيقول: لك ذلك ومثله ومثله ومثله ومثله، فقال في الخامسة: رضيت رب، فيقول: هذا لك وعشرة أمثاله، ولك ما اشتهت نفسك ولذت عينك، فيقول: رضيت رب ، قال: رب فأعلاهم منزلة ؟ قال: أولئك الذين أردت غرست كرامتهم بيدى، وختمت عليها فلم تر عين ولم تسمع أذن ولن يخطر على قلب بشر، قال: ومصداقه في كتاب الله عز وجل (فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين) الآية) رواه مسلم.

وقوله: (**وختمت عليها**) أي فلا يطرأ على كرامتهم تغيير ولا نقص، بل نعيمهم على الكمال، وانظر يا أخي إلى أدنى أهل الجنة وُصِف ما أعد له، أما أعلاهم فلم يُصَف لعظمته، فالأمر أيضا فوق العقل، والنعيم فيه فوق أن يحيط به عقل، ويخطر على قلب بشر، ويكفي يا أخي أن تقف على قدر أدنى أهل الجنة منزلة لتعرف ما قدر أعلاهم، فقد ورد في أقلهم أنه يعطى الدنيا جميعا بقصورها ونعيمها وترفها وغير ذلك من زينتها وعشرة أمثالها، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**إني لأعلم آخر أهل النار خروجا منها، وآخر أهل الجنة دخولا الجنة، رجل يخرج من النار حبوا، فيقول الله تبارك وتعالى له : اذهب فادخل الجنة، فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى، فيرجع فيقول : يا رب وجدتها ملأى، فيقول الله تبارك وتعالى له : اذهب فادخل الجنة، قال : فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى، فيرجع فيقول : يا رب وجدتها ملأى، فيقول الله له : اذهب فادخل الجنة، فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها، أو إن لك عشرة أمثال الدنيا، فيقول : أتسخر بي أو أتضحك بي وأنت الملك ؟ قال: لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه، قال : فكان يقال ذاك أدنى أهل الجنة منزلة**) رواه مسلم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**ويبقى رجل مقبل بوجهه على النار، وهو آخر أهل الجنة دخولاً الجنة، فيقول : أي رب اصرف وجهي عن النار، فإنه قد قشبني ريحها، وأحرقني ذكاؤها، فيدعو الله ما شاء الله أن يدعوه، ثم يقول الله تبارك وتعالى : هل عسيت إن فعلت ذلك بك أن تسأل غيره ؟**

فيقول : لا أسألك غيره، ويعطي ربه من عهود ومواثيق ما شاء الله، فيصرف الله وجهه عن النار، فإذا أقبل على الجنة ورآها، سكت ما شاء الله أن يسكت ثم يقول : أي رب قدمني إلى باب الجنة، فيقول الله له : أليس قد أعطيت عهودك ومواثيقك لا تسألني غير الذي أعطيتك ويلك يا ابن آدم ما أغدرك، فيقول : أي رب، ويدعو الله حتى يقول له : فهل عسيت إن أعطيتك ذلك أن تسأل غيره ؟ فيقول: لا وعزتك، فيعطي ربه ما شاء الله من عهود ومواثيق فيقدمه إلى باب الجنة، فإذا قام على باب الجنة انفهقت له الجنة، فرأى ما فيها من الخير والسرور، فيسكت ما شاء الله أن يسكت، ثم يقول : أي رب أدخلني الجنة، فيقول الله له : ألست قد أعطيت عهودك ومواثيقك أن لا تسأل غير ما أعطيت ؟ ويلك يا ابن آدم ما أغدرك فيقول : أي رب لا أكون أشقى خلقك، فلا يزال يدعو الله حتى يضحك الله تبارك وتعالى منه، فإذا ضحك الله منه، قال : ادخل الجنة، فإذا دخلها قال الله له : تمنه، فيسأل ربه ويتمنى، حتى إن الله ليذكره من كذا وكذا، حتى إذا انقطعت به الأماني قال الله تعالى : ذلك لك ومثله معه) قال عطاء بن يزيد : وأبو سعيد الخدري مع أبي هريرة لا يرد عليه من حديثه شيئاً، حتى إذا حدث أبو هريرة أن الله عز وجل قال لذلك الرجل : (**ومثله معه**) قال أبو سعيد: (**وعشرة أمثاله معه**) يا أبا هريرة، قال أبو هريرة : ما حفظت إلا قوله : (**ذلك لك، ومثله معه**) قال أبو سعيد : أشهد أني حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله : (**ذلك لك، وعشرة أمثاله**) قال أبو هريرة : (وذلك الرجل آخر أهل الجنة دخولاً الجنة) رواه مسلم.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**آخر من يدخل الجنة رجلٌ، فهو يمشي مرة، ويكبو مرة، وتسفعه النار مرة، فإذا ما جاوزها التفت إليها فقال : تبارك الذي نجاني منك، لقد أعطاني الله شيئاً ما أعطاه أحداً من الأولين والآخرين، فترفع له شجرة، فيقول : يا رب أدنني من هذه الشجرة، فلأستظل بظلها، وأشرب من مائها، فيقول الله عز وجل له : يا ابن آدم لعلي إن أعطيتكها سألتني غيرها، فيقول : لا يا رب، ويعاهده ألا يسأله غيرها، قال: وربه عز وجل يعذره، لإنه يرى ما لا صبر له عليه، فيدنيه منها، فيستظل بظلها، ويشرب من مائها،**

ثم ترفع له شجرة هي أحسن من الأولى، فيقول : أي رب أدنني من هذه الشجرة، لأشرب من مائها، وأستظل بظلها، لا أسألك غيرها، فيقول : يا ابن آدم ألم تعاهدني ألا تسألني غيرها ؟ فيقول : لعلي إن أدنيتك منها تسألني غيرها، فيعاهده ألا يسأله غيرها، وربه تعالى يعذره، لأنه يرى ما لا صبر له عليه، فيدنيه منها، فيستظل بظلها ويشرب من مائها، ثم ترفع له شجرة عند باب الجنة هي أحسن من الأوليين، فيقول أي رب أدنني من هذه لأستظل بظلها وأشرب من مائها، لا أسألك غيرها، فيقول يا ابن آدم ألم تعاهدني ألا تسألني غيرها ؟ قال : بلى يا رب لا أسألك غيرها، وربه عز وجل يعذره، لأنه يرى ما لا صبر له عليه، فيدنيه منها، فإذا أدناه منها سمع أصوات الجنة فيقول : أي رب أدخلنيها، فيقول : يا ابن آدم ما يصريني منك، أيرضيك أن أعطيك الدنيا ومثلها معها، قال : يا رب أتستهزئ مني وأنت رب العالمين) فضحك ابن مسعود، فقال : ألا تسألوني مم أضحك ؟ فقالوا: مم تضحك ؟ فقال : هكذا ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا : مم تضحك يا رسول الله ؟ قال :(من ضحك رب العالمين حين قال : أتستهزئ مني وأنت رب العالمين، فيقول : إني لا أستهزئ منك ولكني على ما أشاء قادر) رواه مسلم.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (**إن أدنى أهل الجنة منزلة رجل صرف الله وجهه عن النار قبل الجنة ومثل له شجرة ذات ظل، فقال : أي رب قدمني إلى هذه الشجرة أكون في ظلها** – وساق الحديث بنحو حديث ابن مسعود ولم يذكر (**فيقول يا ابن آدم ما يصريني منك**) إلى آخر الحديث وزاد فيه (**ويذكره الله سل كذا وكذا، فإذا انقطعت به الأماني، قال الله : هو لك وعشرة أمثاله، قال : ثم يدخل بيته فتدخل عليه زوجتاه من الحور العين فتقولان : الحمد لله الذي أحياك لنا وأحيانا لك، قال فيقول : ما أعطي أحد مثل ما أعطيت**) رواه مسلم.

وأيضا حديث المغيرة السابق.

فإذا كان هذا ما أعد لأدنى أهل الجنة وهو أمر عظيم في نظرنا، فكيف بما أعد لأوسطهم ؟ بل كيف بما أعد لأعلاهم ؟ وبينه وبين أدناهم ارتفاع خمسين ألف سنة من الدرجات، فلا شك أنه أعظم وأعظم وأعظم بأضعاف مضاعفة، بل لا يحيط العقل بالتفاضل.

ثامنا : أنهار الجنة تتفجر من الفردوس:

أنهار الجنة كثيرة، وأشهرها وأعظمها الأنهار الأربعة التي ذكرها الله تعالى في كتابه فقال تعالى:﴿ **مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى** ﴾ [محمد/ ١٥] فأنهار الماء وأنهار العسل وأنهار الخمر وأنهار اللبن، وليس في الجنة من أمور الدنيا إلا الأسماء كما ورد عن ابن عباس قال :(ليس في الدنيا من الجنة شيء إلا الأسماء) رواه ابن جرير، فلا الطعم نفس الطعم، ولا اللذة نفس اللذة.

وهذه الأنهار الأربعة العظام تجري في جميع درجات الجنة، لكن يكون تفجرها وبداية خروجها من الفردوس الأعلى إلى باقي الدرجات قال صلى الله عليه وسلم: (**إن في الجنة مائة درجة أعدها للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتموا الله فاسألوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة، وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة**) رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**الجنة مائة درجة بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، وإن الفردوس أعلاها درجة، ومنها تفجر أنهار الجنة الأربعة، ومن فوقها يكون العرش فسلوه الفردوس**) رواه الترمذي.

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**جنان الفردوس أربع : جنتان من ذهب حليتهما و آنيتهما و ما فيهما و جنتان من فضة حليتهما و آنيتهما و ما فيهما و ما بين القوم و بين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء**

الكبرياء على وجهه في جنة عدن و هذه الأنهار تشخب من جنة عدن ثم تصدع بعد ذلك أنهارا) رواه أحمد والطبراني، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع.

قال ابن القيم في الحادي: (وأنهار الجنة تتفجر من أعلاها ثم تنحدر نازلة إلى أقصى درجاتها) انتهى كلامه.

نحن في هذه الدنيا تشرئب نفوسنا وتلتذ نواظرنا برؤية الأنهار وهي تجري، والشلالات وهي تنزل، ونحو ذلك، مع الفارق الشاسع بين أنهار الدنيا وهي تتفجر وأنهار الجنة، فكيف بذلك المنظر في أنهار الجنة، وكيف إذا كان ما يجري من ألذ المشروبات وأحبها إلى النفوس، وكيف إذا كان نقيا مصفى نظيفا لم يخالطه شيء، وكيف إذا كان آمنا فلا غرق ولا خوف ؟ فنعم النعيم، ونعمت اللذة.

تاسعا : الفردوس الأعلى أقل درجات الجنة سكانا :

خلق الله تعالى البشر أصنافا في أديانهم، فمنهم الكافر الشقي، ومنهم المؤمن السعيد، وجعل غالبية هؤلاء البشر من أهل الشقاء لحكمة بالغة، فأهل السعادة والفلاح بالنسبة لأهل الشقاء قليل كما في حديث بعث النار وفيه (**يقول الله تعالى يا آدم، فيقول : لبيك وسعديك، والخير بيديك، فيقول : أخرج بعث النار، فيقول : وما بعث النار، قال : من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين**) رواه مسلم، وجعل أهل السعادة وهم المؤمنون يتفاوتون في أعمالهم ومراتبهم، فكلما علت الدرجة والمرتبة كلما قل أهلها، فالمسلمون كثير وأهل الصلاح فيهم قليل، والشهداء الذين هم أرفع مرتبة من أهل الصلاح بالنسبة لأهل الصلاح قليل، والصديقون الذين هم أرفع مرتبة من الشهداء بالنسبة للشهداء قليل، والنبيون الذين هم أرفع رتبة من الصديقين بالنسبة للصديقين قليل، والرسل الذين هم أرفع رتبة من النبيين بالنسبة إلى النبيين قليل، وأفضل الرسل أولوا العزم، وهم خمسة فقط، وأفضلهم محمد صلى الله عليه وسلم، وقد سبق أن ذكرنا أن الفردوس الأعلى

هو مسكن الأنبياء والصديقين والشهداء، وهم أقل الناس كما ذكرنا سابقا، فيكون الفردوس الأعلى أقل الجنة سكانا، فلا يصل إلى الفردوس إلا الصفوة المختارون من البشر.

ومما يدل على قلة أهل الفردوس على غيرهم من عامة أهل الجنة، قوله تعالى:﴿ **وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (١٠) أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ (١١) فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (١٢) ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ (١٣) وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ** ﴾ [الواقعة ١٠- ١٤] وقد سبق أن المقربين هم أهل الفردوس، وقال تعالى في أصحاب اليمين بعد ذلك ﴿ **ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ (٣٩) وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ** ﴾ [الواقعة ٣٩- ٤٠] والثلة الجماعة، فأفاد أن المقربين ثلة من الأولين وقليل من الآخرين، وأن أصحاب اليمين كثير عددهم في الأولين والآخرين.

واختلف في معنى الأولين والآخرين هنا : فقيل المراد الأولين من الأمم السابقة، والآخرين هذه الأمة.

وقيل المراد الأولين من هذه الأمة، وقليل من الآخرين أي آخر هذه الأمة والله أعلم.

عاشرا: أهل الفردوس هم أعلى أهل الجنة شرفا ومكانة:

فأهل الجنة ينظرون إلى ساكني الفردوس الأعلى بأنهم أشرف أهل الجنة، لما يرون لهم من الفضائل والخصائص ما شرفوا به على غيرهم من أهل الجنة، وعلا به ذكرهم عند باقي أهل الجنة، فإذا اجتمع أهل الجنة للزيارة تبين فضل ساكني الفردوس وشرفهم على غيرهم في منابرهم وفي لباسهم وفي قربهم من الله تعالى كما في حديث يوم المزيد السابق فإن فيه (قال **قلت: لم تدعونه يوم المزيد؟ قال: إن ربك عز وجل اتخذ في الجنة واديا أفيح من المسك أبيض، فإذا كان يوم الجمعة نزل تبارك وتعالى من عليين على كرسيه حتى حف الكرسي بمنابر من نور، وجاء النبيون حتى يجلسوا عليها، ثم حف المنابر بكراسي من ذهب، ثم جاء الصديقون الشهداء حتى يجلسوا عليها، ثم يجئ أهل الجنة حتى يجلسوا على الكثيب، فيتجلى لهم تبارك وتعالى حتى ينظروا إلى وجهه**) رواه البزار وقد مضى تخريجه.

ففي هذا الحديث ذكر أهل الفردوس وهم الأنبياء والصديقون والشهداء، وذكر ما خصوا به على سائر الناس من أهل الجنة، وأهل الجنة يرون ذلك التخصيص والتشريف عيانا.

الحادي عشر : الفردوس الأعلى خلقه الله بيده وأشرف على نعيمه بنفسه :

الله تعالى هو الخلاق الخالق، وهو على كل شيء قدير، إذا أراد كون شيء وخلقه قال له كن فيكون، وهناك أشياء شرفها الله تعالى بأن باشر خلقها بيده، وجعل ذلك شرفا وفضلا لها، ومن ذلك آدم عليه الصلاة والسلام، فقد خلقه الله تعالى بيده، وخص بهذا الفضل والشرف من بين الأنبياء، ومن تلك الأشياء أيضا الفردوس الأعلى، فقد شرفه الله تعالى من بين الجنة، فخلقه بيده وغرس كرامته ونعيمه بيده، وأشرف على ما فيها من النعيم والكرامات واللذات بنفسه، فلم يوكل ذلك إلى ملك ولا مخلوق، وكفى بهذا شرفا للفردوس وكرامة له وفضل، فإذا كان الله تعالى خلق الفردوس بيده، وأشرف على نعيمها بنفسه، فكيف سيكون ؟ وكيف سيكون نعيمه ؟ الأمر لا يحتمل الوصف من العظمة.

عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**سأل موسى ربه ما أدنى أهل الجنة منزلة ؟ قال: هو رجل يجئ بعد ما أدخل أهل الجنة الجنة، فيقال له: أدخل الجنة، فيقول: أي رب كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم ؟ فيقال له: أترضى أن يكون لك مثل ملك ملك من ملوك الدنيا ؟ فيقول: رضيت رب، فيقول: لك ذلك ومثله ومثله ومثله ومثله، فقال في الخامسة: رضيت رب، فيقول: هذا لك وعشرة أمثاله، ولك ما اشتهت نفسك ولذت عينك، فيقول: رضيت رب ، قال: رب فأعلاهم منزلة ؟ قال: أولئك الذين أردت غرست كرامتهم بيدى، وختمت عليها فلم تر عين ولم تسمع أذن ولن يخطر على قلب بشر، قال: ومصداقه في كتاب الله عز وجل (فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين)** الآية) رواه مسلم.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: (**خلق الله جنة عدن و غرس أشجارها بيده فقال : لها تكلمي فقالت : (قد أفلح المؤمنون))** رواه الحاكم، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع.

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (**لما خلق الله تعالى جنة عدن خلق فيها ما لا عين رأت و لا خطر على قلب بشر ثم قال لها : تكلمي فقالت : (قد أفلح المؤمنون)**) رواه الطبراني وضعفه الألباني في ضعيف الجامع.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**خلق الله جنة عدن بيده، ودلى فيها ثمارها، وشق فيها أنهارها، ثم نظر إليها فقال: (قد أفلح المؤمنون) قال: وعزتي لا يجاورني فيك بخيل**) رواه الطبراني، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة.

وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**خلق الله جنة عدن بيده، لبنة من درة بيضاء، ولبنة من ياقوتة حمراء، ولبنة من زبرجدة خضراء، وملاطها مسك، وحشيشها الزعفران، حصباؤها اللؤلؤ، وترابها العنبر، ثم قال لها: انطقي، قالت: (قد أفلح المؤمنون) فقال الله عز وجل: وعزتي وجلالي لا يجاورني فيك بخيل،** ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون**) رواه ابن أبي الدنيا وأبو نعيم في صفة الجنة، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة.

وعن عبد الله بن الحارث قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**إن الله عز وجل خلق ثلاثة أشياء بيده : خلق آدم بيده وكتب التوراة بيده وغرس الفردوس بيده ثم قال : وعزتي لا يسكنها مدمن خمر ولا ديوث**) فقالوا : يا رسول الله قد عرفنا مدمن الخمر فما الديوث ؟ قال صلى الله عليه وسلم: (**الذي ييسر لأهله السوء**) رواه البيهقي في الأسماء والصفات وقال هذا مرسل.

وهذه الأحاديث وإن كانت كلها ضعيفة، لكن يشهد لها حديث المغيرة السابق.

ويشهد لها أيضا ما رواه الدارمي قال حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثنا عبيد بن مهران حدثنا مجاهد قال : قال عبد الله بن عمر: (**خلق الله أربعة أشياء بيده العرش والقلم وعدن وآدم عليه السلام، ثم قال لسائر الخلق كن فكان**) قال الذهبي في العلو (إسناده جيد) وقال الألباني في مختصر العلو (بسند صحيح على شرط مسلم).

والحديث وإن كان موقوفا على ابن عمر، فإنه لا يقال بالرأي فله حكم الرفع.

وجاء في كتاب الزهد لابن المبارك عن سفيان بن عيينة قال : سأل موسى صلى الله عليه وسلم ربه عز وجل وقال : يا رب ما أعددت لأوليائك ؟ قال: **(يا موسى غرست كرامتهم بيدي وختمت عليها ففيها ما لا عين رأت ولا خطر على قلب بشر**) قال سفيان : ونحن نرى أنه جنة عدن لأنه لم يخلق بيده من الجنان شيئا غيرها.

الثاني عشر : أهل الفردوس هم خاصة الله من أهل الجنة :

فهم أفضل أهل الجنة، وقد سبق ذكر أن الله تعالى قربهم وخصهم بجواره من بين أهل الجنة، وقد جاء في حديث المغيرة بن شعبة في موسى لما سأل ربه فقال: (**قال: رب فأعلاهم منزلة؟ قال: أولئك الذين أردتُ**) أي الذين اصطفيت من بين الخلق، ومن بين أهل الجنة، واخترتهم لجواري وكرامتي، وكفى بهذا فضلا وشرفا للفردوس أن يكونون مرادون من قبل الله تعالى أعلى الإرادات وأفضلها، وما كان لهم ذلك إلا لأنهم أحب أهل الجنة إلى الله تعالى.

الثالث عشر: الفردوس الأعلى أحسن الجنة خضرة وأشجارا :

ومن أجل هذا سمي الفردوس دون غيره من الجنان، وقد سبق في معنى الفردوس أنه البستان الذي يجمع كل شيء من النبت والأشجار، فاشتق للفردوس الأعلى هذا الاسم لعظم ما حواه من تلك البساتين والمناظر الطبيعية.

وقد سبق في وصف جنان المقربين وهي الفردوس أن الله تعالى قال فيها ﴿ **ذَوَاتَا أَفْنَانٍ** ﴾ [الرحمن/٤٨] أي ذواتا أغصان، واحدها فنن وهو الغصن المستقيم طولا، ولم يقل ذلك في جنات غيرهم، زد على هذا أن البساتين والجنان والخضرة والأشجار على ربوة، فإن الفردوس هو ربوة الجنة كما سبق، وقد امتدح الله تعالى الجنة إذا كانت على ربوة كما قال تعالى: ﴿ **وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ** ﴾ زد على هذا كله الأنهار والبحار التي حواها الفردوس كما سبق، فإذا جمعت هذا كله وتصورته عرفت فضل الفردوس على غيره من الجنان.

ومما لم يصح في فضل الفردوس لكنه يحتمل:

أهل الفردوس يزورون جميع أهل الجنة في جميع الدرجات، ولا أحد من أهل الدرجات الذين أسفل منهم يطلع إلى المنازل العالية :

وقد يكون هذا لحفظ الله لنفوس الأدنين من أهل الجنة ألا يحزنوا عندما يرون نعيم الأعلين، ولا حزن في الجنة، وقد جاء عن حميد بن هلال قال :(بلغنا أن أهل الجنة يزور الأعلى الأسفل ولا يزور الأسفل الأعلى) رواه أبو نعيم في صفة الجنة، وإسناده صحيح وحميد من التابعين والله أعلم.

وقد جاء في ذلك أحاديث غير ثابتة، فمن ذلك :

ما ورد عن أبي سلام الأسود قال : سمعت أبا أمامة رضي الله عنه قال : سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم :(هل يتزاور أهل الجنة ؟) قال :(**نعم إنه ليهبط أهل الدرجة**

العليا إلى أهل الدرجة السفلى، فيحيونهم ويسلمون عليهم، ولا يستطيع أهل الدرجة السفلى يصعدون إلى الأعلين، تقصر بهم أعمالهم) وفيه ضعف.

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (**يتزاور أهل الجنة على نوق عليها الحشايا، فيزور أهل عليين من أسفل منهم، ولا يزور من أسفل منهم أهل عليين، إلا المتحابين في الله فإنهم يتزاورون من الجنة حيث شاءوا**) رواه الطبراني في الكبير وفيه بشر بن نمير متروك.

وقد قال ابن علان في شرح رياض الصالحين في شرح حديث المغيرة بن شعبة في أعلى أهل الجنة منزلة وفيه (**وختمت عليها**) قال (لئلا يراها غيرهم مبالغة فيما ذكر) انتهى.

أهل الفردوس يتمتعون بالنظر إلى وجه الله تعالى غدوة وعشيا :

رؤية الله تعالى أعظم نعيم أهل الجنة وألذه، ولا يقارن به أي نعيم من القصور والحور والولدان وغيرها، فإن أهل الجنة إذا رأوا الله تعالى وتجلى لهم نسوا ما كانوا فيه من النعيم، كما قد جاءت بذلك الأحاديث والأدلة، فلا نعيم يوازيه ويساويه، وهذه هي الغاية التي سما إليها المحبون، واحترق لأجلها المشتاقون، وضحى لها بالنفوس والأموال المجاهدون، فياله من نعيم ما ألذه وأطيبه، ففيه رؤية الجميل الذي يحب الجمال، وخالق الجمال، ومعطي الجمال.

عن صهيب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :(**إذا دخل أهل الجنة الجنة، قال : يقول الله تبارك وتعالى : تريدون شيئا أزيدكم ؟ فيقولون : ألم تبيض وجوهنا ؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار ؟ قال : فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل) ثم تلا هذه الآية (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة))** رواه مسلم.

وروى الإمام أحمد في مسنده والنسائي عن عمار بن ياسر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو في صلاته فيقول (**وأسألك لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك**) وصححه الألباني في صحيح الجامع.

وروى ابن ماجه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (**بينا أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور، فرفعوا رءوسهم، فإذا الرب سبحانه قد أشرف عليهم من فوقهم، فقال : السلام عليكم يا أهل الجنة، قال : وذلك قول الله عز وجل (سلام قولا من رب رحيم) قال : فينظر إليهم وينظرون إليه، فلا يلتفتون إلى شيء من النعيم ما داموا ينظرون إليه، حتى يحتجب عنهم، ويبقى نوره، وبركته عليهم في ديارهم**) وضعفه الألباني في ضعيف الجامع.

وقد أتيح لأهل الجنة النظر إلى الله تعالى ووجهه الكريم، وذلك كل جمعة، كما ورد عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (**أتاني جبريل عليه السلام وفى يده مرآة بيضاء، فيها نكتة سوداء، فقلت : ما هذه يا جبريل ؟ قال : هذه الجمعة يعرضها عليك ربك لتكون لك عيدا ولقومك من بعدك، تكون أنت الأول وتكون اليهود والنصارى من بعدك، قال: مالنا فيها ؟ قال: لكم فيها خير، لكم فيها ساعة من دعا ربه فيها بخير هو له قسم إلا أعطاه إياه، وليس له بقسم إلا وادخر له ما هو أعظم منه، أو تعوذ فيها من شر هو مكتوب إلا أعاذه من أعظم منه، قلت: ما هذه النكتة السوداء فيه ؟ قال: هذه الساعة تقوم يوم الجمعة، وهو سيد الأيام عندنا، ونحن ندعوه في الآخرة يوم المزيد، قال قلت: لم تدعونه يوم المزيد ؟ قال: إن ربك عز وجل اتخذ في الجنة واديا أفيح من المسك أبيض، فإذا كان يوم الجمعة نزل تبارك وتعالى من عليين على كرسيه حتى حف الكرسي بمنابر من نور، وجاء النبيون حتى يجلسوا عليها، ثم حف المنابر بكراسي من ذهب، ثم جاء الصديقون الشهداء حتى يجلسوا عليها، ثم يجئ أهل الجنة حتى يجلسوا على الكثيب، فيتجلى لهم تبارك وتعالى حتى ينظروا إلى وجهه وهو يقول : أنا الذى صدقتكم وعدي، وأتممت عليكم نعمتي، هذا محل كرامتي، فسلوني، فيسألوه الرضا، فيقول الله عزوجل : رضائي أحلكم**

داري وأنالكم كرامتي، فسلوني، فيسألوه حتى تنتهى رغبتهم، فيفتح لهم عند ذلك مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، إلى مقدار منصرف الناس يوم الجمعة، ثم يصعد تبارك وتعالى على كرسيه، فيصعد معه الشهداء والصديقون، أحسبه قال ويرجع أهل الغرف إلى غرفهم، درة بيضاء لا قصم فيها ولا فصم، فيها ثمارها، فيها أزواجها وخدمها، فليسوا إلى شئ أحوج منهم إلى يوم الجمعة، ليزدادوا فيه كرامة، وليزدادوا فيه نظرا إلى وجهه تبارك وتعالى ولذلك دعى يوم المزيد) رواه البزار والطبراني في الأوسط.

ورواه أبو يعلى بلفظ (**أتاني جبريل بمثل المرآة البيضاء فيها نكتة سوداء قلت : يا جبريل : ما هذه ؟ قال : هذه الجمعة جعلها الله عيدا لك ولأمتك، فأنتم قبل اليهود والنصارى، فيها ساعة لا يوافقها عبد يسأل الله فيها خيرا إلا أعطاه إياه، قال : قلت : ما هذه النكتة السوداء ؟ قال: هذا يوم القيامة تقوم في يوم الجمعة، ونحن ندعوه عندنا المزيد قال : قلت ما يوم المزيد ؟ قال : إن الله جعل في الجنة واديا أفيح، وجعل فيه كثبانا من المسك الأبيض، فإذا كان يوم الجمعة ينزل الله فيه فوضعت فيه منابر من ذهب للأنبياء، وكراسي من در للشهداء، وينزلن الحور العين من الغرف، فحمدوا الله ومجدوه، قال : ثم يقول الله : اكسوا اعبادي فيكسون، ويقول : أطعموا عبادي فيطعمون، ويقول : اسقوا عبادي فيسقون، ويقول : طيبوا عبادي فيطيبون، ثم يقول : ماذا تريدون ؟ فيقولون : ربنا رضوانك قال : يقول : رضيت عنكم، ثم يأمرهم فينطلقون، وتصعد الحور العين الغرف، وهي من زمردة خضراء ومن ياقوتة حمراء**) وإسناده صحيح كما قال البوصيري في الإتحاف.

وفي رواية الحارث بن أبي أسامة (**فيشهد لهم أنه قد رضي عنهم، ويعطيهم ما سألوا وفوق رغبتهم، مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ويرتفع النبيون والصديقون والشهداء وذلك مقدار منصرفهم من الجمعة**).

قال المنذري عن رواية الطبراني في الأوسط (إسنادها جيد) وصححه الالباني في الترغيب والترهيب وقال أيضا : رواه ابن أبي الدنيا والطبراني في الأوسط بإسنادين أحدهما جيد قوي وأبو يعلى مختصرا ورواته رواة الصحيح.

وقد جمع شيخ الاسلام طرق الحديث وتكلم عليها ومال إلى تقويتها في مجموع الفتاوى، وقال ابن القيم في حادي الأرواح: (هذا حديث كبير الشأن رواه أئمة السنة وتلقوه بالقبول وجمل به الشافعي مسنده) وقال الذهبي في العلو (وله طرق يعضد بعضها بعضا).

وأما بالنسبة لأهل الفردوس فقد ورد عن ابن عمر رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم: (**إن أدنى أهل الجنة منزلة لينظر في ملكه ألفي سنة، يرى أقصاه كما يرى أدناه، ينظر إلى أزواجه وخدمه، وإن أفضلهم منزلة لينظر في وجه الله تعالى كل يوم مرتين**) رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني، وفى أسانيدهم ثوير بن أبى فاختة، وهو مجمع على ضعفه، ولكن يؤيده ويشير إليه حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه : كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ نظر إلى القمر ليلة البدر، فقال: (**أما إنكم سترون ربكم كما ترون هذا لا تضامون أو لا تضاهون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا،** ثم قال (**فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها**) رواه البخاري.

قال شيخ الإسلام في المجموع: (فلما كان في حديث ابن عمر المتقدم وعد أعلاهم (غدوة وعشيا) والرسول صلى الله عليه وسلم قد جعل صلاتي الغداة والعشي سببا للرؤية، وصلاة الجمعة سببا للرؤية في وقتها مع ما في الصلاة من مناسبة الرؤية، كان العلم بمجموع هذه الأمور يفيد ظنا قويا أن هاتين الصلاتين سبب للرؤية في وقتهما في الآخرة والله أعلم بحقيقة الحال) انتهى كلامه.

وقال ابن القيم في النونية :

هذا وأعلاهم فناظر ربه ... في كل يوم وقته الطرفان

فكفى بهذا شرفا وفضلا لأهل الفردوس إن ثبت ذلك، فوالله إنه لأعظم فضل للفردوس الأعلى، فوالله إنه الفضل الذي ليس بعده فضل، والعلو الذي ليس بعده علو.

في الفردوس البحار وفي غيرها الأنهار :

قال صلى الله عليه وسلم :(**إن في الجنة بحر الماء وبحر العسل وبحر اللبن وبحر الخمر ثم تشقق الأنهار بعد**) رواه الترمذي عن معاوية رضي الله عنه، وصححه الألباني في صحيح الجامع، والظاهر أن المراد من الجنة هنا الفردوس الأعلى، فإنه ذكر أن تشقق الأنهار يكون منه في قوله (**ثم تشقق الأنهار بعد**) ومعلوم كما سبق أن تشقق الأنهار وتفجرها يكون من الفردوس، وهذا الحديث مفسر لكيفية تفجر الأنهار في حديث أبي هريرة (**ومنه تفجر أنهار الجنة**) رواه البخاري، وهو اللائق بسعة الفردوس، حيث أنه أوسع الجنة وأفضلها، فكانت فيه البحار لا الأنهار.

* * * *

۞ الباب الخامس : سبل الوصول إلى الفردوس

تمهيد

قد سبق أن ذكرنا أن الله تعالى أعد الجنة جزاء لعباده على أعمالهم، كما قال تعالى : ﴿ **وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ** ﴾[الأعراف/٤٣].

وقال تعالى: ﴿ **وَحُورٌ عِينٌ (٢٢) كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ (٢٣) جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ [الواقعة/٢٣].

وقال تعالى: ﴿ **فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ** ﴾ [الزلزلة/٧].

فالجنة لا تنال إلا بالعمل، وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن الجنة سلعة الله وأنها غالية الثمن، وثمنها العمل، فإذا كان هذا في الجنة، فكيف بالفردوس الأعلى منها ؟ فلا شك أنه يجب في الوصول إليه دفع أعلى الثمن أي أعلى العمل، لكي يصل إليه الشخص، فأهل الفردوس هم خاصة الله تعالى، وأهل جواره، والمصطفون والمقربون من بين عباده، فلا شك أنه لن يصل إليه أي أحد، فهو أفضل الأماكن والمنازل، فلا يجاوره فيها إلا من قدم وضحى حتى يصل إليه، وقد قال صلى الله عليه وسلم (**حفت الجنة بالمكاره**) رواه مسلم، فإذا كانت الجنة حفت بما تكرهه النفوس ويشق عليها من الأعمال، فكيف بالفردوس الأعلى ؟

قال الغزالي في إحياء علوم الدين: (وقال الفضيل في بعض كلامه: هاه تريد أن تسكن الفردوس وتجاور الرحمن في داره مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، بأي عمل عملته، بأي شهوة تركتها، بأي غيظ كظمته، بأي رحم قاطع وصلتها، بأي زلة لأخيك غفرتها، بأي قريب باعدته في الله، بأي بعيد قاربته في الله) انتهى.

جاء في كتاب الاستعداد للموت وسؤال القبر: (وحكي أن أصحاب الثوري كلموه فيما كانوا يرون من خوفه واجتهاده ورثة حاله، فقالوا: يا أستاذ لو نقصت من هذا الجهد نلت مرادك أيضاً إن شاء الله تعالى، فقال سفيان : كيف لا أجتهد، وقد بلغني أن أهل الجنة يكونون في منازلهم، فيتجلى لهم نور يضيء له الجنان الثمان، فيظنون أن ذلك نور من عند الرب سبحانه وتعالى، فيخرون ساجدين، فينادون أن ارفعوا رؤوسكم ليس الذي تظنون، إنما هو نور جارية تبسمت في وجه صاحبها، ثم أنشد يقول:

ما ضر من كان الفردوس مسكنه ... ماذا تحمل من بؤس وإقتار
تراه يمشي كئيباً خائفاً وجلا ... إلى المساجد يمشي بين أطمار
يا نفس مالك من صبر على النار ... قد حان أن تقبلي من بعد إدبار

انتهى كلامه.

وقال الشاعر :

ومن تكن العلياء همة نفسه ... فكل الذي يلقاه فيها محبب

قال ابن القيم في طريق الهجرتين: (فمن أرادت من الأرواح الخبيثة السفلية أن تكون مجاورة للأرواح الطيبة العلوية، في مقام الصدِّيق بين الملأ الأعلى، فقد أرادت ما تأباه حكمة أحكم الحاكمين، ولو أن ملكا من ملوك الدنيا جعل خاصته وحاشيته سفلة الناس وسقطهم وغرتهم الذين تتناسب أقوالهم وأعمالهم وأخلاقهم في القبح والرداءة والدناءة، لقدح الناس في ملكه، وقالوا لا يصلح للملك، فما الظن بمجاوري الملك الأعظم مالك الملوك في داره، وتمتعهم برؤية وجهه وسماع كلامه، ومرافقتهم للملأ الأعلى الذين هم أطيب خلقه وأزكاهم وأشرفهم، أفيليق بذلك الرفيق الأعلى والمحل الأسنى والدرجات العلى روح سفلية أرضية قد أخلدت إلى الأرض، وعكفت على ما تقتضيه طبائعها، مما تشارك فيه بل قد تزيد على الحيوان البهيم) انتهى كلامه.

وهناك أعمال خصت من بين الأعمال – كما خص الفردوس من بين الجنان – دلت النصوص على أنها توصل إلى الفردوس الأعلى، وهي نوعان :

١. قسم نص عليه الشارع بأنه يوصل إلى الفردوس بخصوصه.
٢. قسم لم ينص الشارع بأنه يوصل إلى الفردوس بخصوصه، لكنه نص على أنه مما يرفع به الدرجات في الجنة، وذلك يوصل إلى الفردوس بإذن الله، لكن هذا العمل يشترط فيه الدوام والكثرة، فإن الدرجات إلى الفردوس كثيرة كما مضى، فتحتاج إلى الكثرة من هذا العمل حتى يوصل إلى الفردوس، فلا يقال لمن عمله مرة واحدة أو مرات قليلة أنه يوصل إلى الفردوس الأعلى.

وإليك أخي الأعمال التي نص الشارع أنها توصل إلى الفردوس :

أولا : النبوة والرسالة :

الأنبياء والرسل هم أفاضل الخلق عند الله تعالى، ولا أحد يفضلهم مهما بلغ عمله، ومهما كثر وارتفع، فلا مقام أفضل من مقام النبوة والرسالة، ودلت الأدلة على تفضيلهم على الخلق أجمعين، فقد ذكر الله تعالى مراتب الناس مرتبة فقال تعالى: (**ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا**) قال الحافظ في الفتح (أكمل النوع الانساني الأنبياء ثم الأولياء والصديقون والشهداء) انتهى كلامه.

وقال ابن القيم في مفتاح دار السعادة : (فإن أفضل الدرجات النبوة، وبعدها الصديقية، وبعدها الشهادة وبعدها الصلاح، وهذه الدرجات الأربع هي التي ذكرها الله تعالى في كتابه في قوله (**ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا**) انتهى كلامه.

قال شيخ الإسلام في المجموع: (وقد قال تعالى: (**فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين**) وهذه الأربعة هي مراتب العباد : أفضلهم الأنبياء ثم الصديقون ثم الشهداء ثم الصالحون) انتهى كلامه.

وإذا كانوا هم أفضل الناس وأفضل الخلق، فلا بد أن يكونوا في أفضل الدرجات، وأن لا يفضلهم أحد فيها، وهذا يعني أن يكونوا في الفردوس الأعلى، إذ لا درجة فوقه وليس فوقه إلا العرش.

روى البخاري عن أنس رضي الله عنه قال (لما ثقل النبي صلى الله عليه وسلم جعل يتغشاه، فقالت : فاطمة رضي الله عنه : واكرب أباه، فقال لها : (**ليس على أبيك كرب بعد اليوم**) فلما مات قالت : يا أبتاه، أجاب ربا دعاه، يا أبتاه من جنة الفردوس مأواه، يا أبتاه إلى جبريل ننعاه، فلما دفن، قالت فاطمة رضي الله عنها : يا أنس أطابت أنفسكم أن تحثوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم التراب).

فأفاد هذا الحديث أن منزل النبي صلى الله عليه وسلم في جنة الفردوس.

قال ابن القيم في طريق الهجرتين في طبقات المكلفين في الآخرة : (الطبقة الأولى : وهي العليا على الإطلاق مرتبة الرسالة، فأكرم الخلق على الله وأخصهم بالزلفى لديه رسله، وهم المصطفون من عباده، الذين سلم عليهم في العالمين، كما قال تعالى: (**وسلام على المرسلين**) وقال تعالى: (**سلام على نوح في العالمين**) وقال تعالى: (**سلام على إبراهيم * كذلك نجزي المحسنين**) (**سلام على إل ياسين**) وقال تعالى: (**قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى**)..... ثم قال: (وقد أخبر سبحانه وتعالى أنه أخلصهم بخالصة ذكرى الدار، وأنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار، ويكفي في فضلهم وشرفهم أن الله سبحانه وتعالى اختصهم بوحيه، وجعلهم أمناء على رسالته، وواسطة بينه وبين عباده، وخصهم بأنواع كراماته، فمنهم من اتخذه خليلا، ومنهم من كلمه تكليما، ومنهم من رفعه مكانا عليا على سائرهم درجات، ولم يجعل لعباده وصولا إليه إلا من طريقهم، ولا دخولا إلى جنته إلا خلفهم، ولم يكرم أحدا منهم بكرامة إلا على أيديهم، فهم أقرب الخلق إليه

وسيلة، وأرفعهم عنده درجة، وأحبهم إليه وأكرمهم عليه، وبالجملة فخير الدنيا والآخرة إنما ناله العباد على أيديهم، وبهم عرف الله، وبهم عبد وأطيع، وبهم حصلت محابه تعالى في الأرض، وأعلاهم منزلة أولو العزم منهم المذكورون في قوله تعالى : (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى) وهؤلاء هم الطبقة العليا من الخلائق، وعليهم تدور الشفاعة حتى يردوها إلى خاتمهم وأفضلهم) انتهى كلامه.

ولا نطيل في هذا المقام، إذ قد ختمت النبوة والرسالة بمحمد صلى الله عليه وسلم، فلا مجال للوصول إلى هذا المقام.

ثانيا : الصديقية :

الصديقية هي مقام تحت النبوة وفوق الشهادة، وهي كمال الإيمان بالله ورسوله وكمال التصديق بخبره وشرعه، وكمال الصدق في الأمور كلها، فهي تجمع بين الصدق والتصديق.

والدليل على أن بكمال الصدق تحصل الصديقية قوله صلى الله عليه وسلم: (إن الصدق يهدي إلى البر وإن يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا) متفق عليه، فأفاد أن تحري الصدق في الأمور كلها يؤدي إلى مرتبة الصديقية.

وأما كمال التصديق فقد قال تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ** ﴾ [الحديد/ ١٩] ففسر الصديقية بالإيمان بالله ورسله، والإيمان التصديق، وذلك يعني كمال الإيمان المستحب والواجب بالله ورسله، وإلا لكان كل من دخل الجنة من المؤمنين صديقا، وأبو بكر رضي الله عنه صديق هذه الأمة إنا سمي الصديق ونال هذه المنزلة لكمال تصديقه بالله ورسوله، فعن عائشة رضي الله عنها قالت : (لما أسري بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى المسجد الأقصى أصبح يتحدث الناس بذلك، فارتد ناس ممن كانوا آمنوا به وصدقوه، وسعوا بذلك إلى أبي بكر رضي الله عنه فقالوا: هل لك إلى صاحبك يزعم أنه أسري به الليلة إلى بيت المقدس؟ قال: أو قال ذلك ؟

قالوا: نعم، قال: لئن كان قال ذلك لقد صدق، قالوا: أو تصدقه أنه ذهب الليلة إلى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح ؟ قال: (نعم إني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك، أصدقه بخبر السماء في غدوة أو روحة) فلذلك سمي أبو بكر الصديق) رواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة.

ومن الأدلة التي دلت على دخول معنى التصديق وكماله وكمال الإيمان بالله ورسله في الصديقية وعلى علو منزلة أهلها ما جاء عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه : عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**إن أهل الجنة يتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب، لتفاضل ما بينهم**) قالوا : يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم، قال: (**بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين**) رواه البخاري.

قال الحافظ: (قوله (**وصدقوا المرسلين**) أي حق تصديقهم، وإلا لكان كل من آمن بالله وصدق رسله وصل إلى تلك الدرجة وليس كذلك) انتهى.

قال القرطبي: (وقوله (**والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين**) ولم يذكر عملا ولا شيئا سوى الإيمان والتصديق للمرسلين، وذلك ليعلم أنه عنى الإيمان البالغ وتصديق المرسلين من غير سؤال آية ولا تلجلج، وإلا فكيف تنال الغرفات بالإيمان والتصديق الذي للعامة، ولو كان كذلك كان جميع الموحدين في أعالي الغرفات وأرفع الدرجات وهذا محال) انتهى.

والصديقون هم أفاضل الناس بعد النبيين، وهي أعلى المقامات بعد النبوة، فلا أفضل بعد النبيين منهم، فلا شك أنهم سيكونون في أعالي الدرجات مع الأنبياء، إذ قد ورد فيمن هو أقل منهم رتبة كما سيأتي إن شاء الله أنهم في الفردوس، فمن باب أولى أن يكون الصديقين في الفردوس، وقد جاء في حديث أبي سعيد السابق أن الصديقين في الفردوس ، فقد أخبر فيه أنهم مع النبيين، وذلك يعني أنهم في الفردوس، إذ هو درجة النبيين.

قال ابن القيم في طريق الهجرتين: (ومرتبة الصديقين فوق مرتبة الشهداء، ولهذا قدمهم عليهم في الآيتين هنا، وفي سورة النساء، كذا جاء ذكرهم مقدما على الشهداء في كلام

النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: (**أثبت أحد فإنما عليك نبي وصديق وشهيد**) ولهذا كان نعت الصديقية وصفا لأفضل الخلق بعد الأنبياء والمرسلين أبي بكر الصديق، ولو كان بعد النبوة درجة أفضل من الصديقية لكانت نعتا له رضي الله عنه) انتهى كلامه.

وقد سبق في بيان فضائل الفردوس أنه مسكن الأنبياء والصديقين والشهداء، وسبق ذكر الأدلة في ذلك.

وقد ورد أن كمال الإيمان بالله ورسوله – وهو من الصديقية كما سبق – أفضل الأعمال، فعن أبي ذر رضي الله عنه قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الأعمال أفضل ؟ قال:(**إيمان بالله وجهاد في سبيله**) متفق عليه، فيكون أهله في أعلى الدرجات.

وقد أخبر الله تعالى في كتابه أن الإيمان مما ترفع به الدرجات في الجنة فقال تعالى: ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ** ﴾ [الأنفال/٢].

وقال تعالى: ﴿ **يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ** ﴾ [المجادلة/١١].

بل وجاء أن الإيمان والعمل الصالح سبب في بلوغ الفردوس قال تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا** ﴾ [الكهف/ ١٠٧] قال السعدي في تفسيره: (يحتمل أن المراد بجنات الفردوس أعلى الجنة وأوسطها وأفضلها، وأن هذا الثواب لمن كمل فيه الإيمان والعمل الصالح والأنبياء والمقربون، ويحتمل أن يراد بها جميع منازل الجنان، فيشمل هذا الثواب جميع طبقات أهل الإيمان من المقربين والأبرار والمقتصدين كل بحسب حاله وهذا أولى المعنيين لعمومه) انتهى.

ثالثا : الشهادة :

الجهاد في سبيل الله أفضل الأعمال، وأعلى الإسلام وذروة سنامه، وأفضل أعمال الجهاد منزلة ودرجة وأجرا وفضلا الشهادة في سبيل الله، فقد جاء في الحديث عن عمرو بن عبسة رضي الله عنه قال : قال رجل : يا رسول الله ما الإسلام ؟ قال :(**أن يسلم قلبك لله عز وجل، وأن يسلم المسلمون من لسانك ويدك**) قال : فأي الإسلام أفضل ؟ قال :(**الإيمان**) قال : وما الإيمان ؟ قال :(**تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت**) قال: فأي الإيمان أفضل ؟ قال :(**الهجرة**) قال: فما الهجرة ؟ قال:(**تهجر السوء**) قال: فأي الهجرة أفضل ؟ قال:(**الجهاد**) قال: وما الجهاد ؟ قال:(**أن تقاتل الكفار إذا لقيتهم**) قال: فأي الجهاد أفضل ؟ قال :(**من عقر جواده وأهريق دمه**) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(**ثم عملان هما أفضل الأعمال إلا من عمل بمثلهما حجة مبرورة أو عمرة**) رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح كما قاله ابن النحاس، فجعل أفضل الجهاد الشهادة.

والشهادة في سبيل الله جاءت الأدلة الكثيرة في فضلها، بل لم تأت النصوص الشرعية في فضل شيء كما جاءت في فضل الشهادة، ففضائلها كثيرة جدا، وهي المقام الذي يلي مقام النبوة ومقام الصديقية مباشرة كما قال تعالى: ﴿ **وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا** ﴾ [النساء/٦٩] ويراجع في فضائلها العظيمة الكثيرة كتاب (قمة السعادة في فضائل الشهادة) ومن فضائل الشهادة العظيمة أن مقام الشهادة يوصل إلى الفردوس الأعلى وإليك الأدلة والبحث مختصرا من نفس الكتاب السابق:

١. عن عتبة بن عبد السلمي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (**القتلى ثلاثة : رجل مؤمن، جاهد بنفسه وماله في سبيل الله، حتى إذا لقي العدو قاتلهم حتى يقتل، فذلك الشهيد الممتحن في خيمة الله تحت عرشه، لا يفضله النبيون إلا بفضل درجة النبوة، ورجل فرق على نفسه من الذنوب والخطايا، جاهد بنفسه وماله في سبيل الله، حتى إذا لقي العدو قاتل حتى يقتل، فتلك ممصمصة محت ذنوبه وخطاياه، إن السيف محاء للخطايا، وأدخل من أي أبواب الجنة شاء،**

فإن لها ثمانية أبواب، ولجهنم سبعة أبواب، وبعضها أفضل من بعض، ورجل منافق، جاهد بنفسه وماله، حتى إذا لقي العدو، قاتل في سبيل الله عز وجل حتى يقتل، فذلك في النار، إن السيف لا يمحو النفاق) رواه أحمد والطبراني بإسناد جيد كما قال المنذري وابن النحاس، وقال الهيثمي (ورجال أحمد رجال الصحيح خلا المثنى الاملوكي وهو ثقة)، وفي رواية للحديث لابن حبان (في جنة الله تحت عرشه).

فالشهيد الأول هو أفضل الشهداء جعل منزلته في الجنة تحت عرش الرحمن، والذي تحت العرش هو الفردوس الأعلى كما سبق بيانه وهذا من أصرح الأدلة.

٢. ومن الأدلة أيضا : أن الفردوس هو مسكن الأنبياء والصديقين والشهداء، والأدلة على ذلك ما يأتي :

أ. ما سبق ذكره في فضائل الفردوس من أنه مسكن الأنبياء والصديقين والشهداء وقد مضى ذكر الأدلة على ذلك.

ب. ويؤيد أن الفردوس هو مسكن الأنبياء والصديقين والشهداء، أنهم في أعلى الدرجات ولا درجة أعلى من الفردوس، فهذا يؤيد اجتماعهم فيه.

ت. ويؤيده أيضا حديث أنس بن مالك رضي الله عنه السابق في رؤية الله تعالى يوم الجمعة. وهو يفيد أن الأنبياء والصديقون والشهداء عندما يعودون إلى منازلهم يصعدون معا ويرتفعون بخلاف بقية المؤمنين.

ث. ومن أعظم الأدلة على ذلك أيضا ما رود في حديث سمرة رضي الله عنه عند الطبراني في رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم وفيه: (**قالا لي: انطلق حتى أتيا بي وسط شجرة، فإذا منازل حسان فقلت: ماهذا ؟ قالا لي: انطلق، فانطلقا بي، حتى أتيا بي أعلى الشجرة، فإذا منازل هي أحسن منها وإذا غرف ثلاثة، قلت: ما هذا ؟ قالا على رسلك....... وأما المنازل التي رأيت وسط الشجرة فتلك منازل المؤمنين عامة،**

وهذه منازل النبيين والصديقين والشهداء، وهذه الغرفة لك) وأصل الحديث في البخاري بغير هذا اللفظ، فإنه أطلق في رواية البخاري في الدار الثانية التي صعد إليها بعد دار عامة المؤمنين (**دار الشهداء**) فيكون المقصود برواية البخاري (**دار الشهداء**) أي دار النبيين والصديقين والشهداء، وتكون رواية البخاري اقتصرت على أحد الأصناف، وأن دار الشهداء هذه هي جنة عدن لأنه صعد به أعلى الشجرة.

قال الحافظ في الفتح على حديث سمرة : (وفيه فضل الشهداء وأن منازلهم في الجنة أرفع المنازل) انتهى، ومعلوم أن أرفع المنازل هو الفردوس الأعلى.

وقال أيضا: (قال الكرماني: كما نبه بمن ذكر من أهل الثواب وأنهم أربع درجات : درجات النبي، ودرجات الأمة أعلاها الشهداء، وثانيها من بلغ، وثالثها من كان دون البلوغ) انتهى كلامه.

وقال ابن القيم في الزاد: (الجِهَاد ذِروةَ سَنَامِ الإسلام وقُبَّته، ومنازِلُ أهله أعلى المنازل فى الجنة، كما لهم الرِّفعةُ فى الدنيا، فهم الأَعْلَوْنَ فى الدنُّيَا والآخِرةِ) انتهى كلامه.

وقال المناوي في الفيض: (ولا أحد أنفس ممن بذل أنفس ما عنده فيكون في أرفع منازل الجنان، وناهيك بذلك فضلا) انتهى كلامه، وأرفع منازل الجنان هو الفردوس الأعلى.

ج. ومما يؤيد أيضا حديث أبي أمامة عند الطبراني مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم: (**فإذا نحن برجال أحسن شيء وجها، وأحسنه لبوسا، وأطيبه ريحا، كأن وجوههم القراطيس، قلت: من هؤلاء ؟ قال: هؤلاء الصديقون والشهداء والصالحون**) فقد رآهم النبي صلى الله عليه وسلم جميعا وفي مكان واحد، فهذا يدل على أنهم في جميعا في مسكن واحد.

ح. ومما يدل على ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿ **وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا** ﴾ [النساء/٦٩].

وهؤلاء المذكورون في الآية هم الرفيق الأعلى كما ورد عن عائشة رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (**ما من نبي يمرض إلا خير بين الدنيا والآخرة)، وكان في شكواه الذي قبض فيه أخذته بحة شديدة فسمعته يقول:(مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين**)) رواه البخاري.

وقد ورد أيضا عند النسائي في الكبرى في نفس الحديث: (فإذا بصره قد شخص وهو يقول : (**بل الرفيق الأعلى من الجنة**) فهذا يدل على أنهم مترافقين في الجنة، وخصهم بوصف العلو زيادة في التأكيد على أن المراد كونهم مترافقين في أعلى الجنة، وليس المراد أنهم مترافقين في الكون في الجنة.

وتفسير هذا الترافق هو كما ورد في الأحاديث السابقة من أن مسكنهم واحد وهو الفردوس الأعلى وجنة عدن، والنصوص الشرعية يفسر بعضها بعضا.

والأدلة التي جاءت في المرافقة والمعية في الجنة تدل كلها على الترافق في المنزلة والدرجة وليس في أصل الدخول، فمن ذلك ما جاء عن أبي موسى رضي الله عنه قال : أتى النبي صلى الله عليه وسلم أعرابي فأكرمه، فقال : (**ائتنا**) فأتاه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (**سل حاجتك**) فقال : ناقة نركبها وأعنز يحلبها أهلي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (**أعجزتم أن تكونوا مثل عجوز بني إسرائيل ؟**) فقال : (**إن موسى لما سار ببني إسرائيل من مصر ضلوا الطريق، فقال : ما هذا ؟ فقال علماؤهم : إن يوسف لما حضره الموت أخذ علينا موثقا من الله أن لا نخرج من مصر حتى ننقل عظامه معنا، قال : فمن يعلم موضع قبره ؟ قال: عجوز من بني إسرائيل، فبعث إليها فأتته، فقال : دليني على قبر يوسف، قالت : حتى تعطيني حكمي، قال : وما حكمك ؟ قالت : أكون معك في الجنة، فكره أن يعطيها ذلك فأوحى الله إليه : أعطها حكمها، فانطلقت بهم إلى بحيرة موضع مستنقع ماء، فقالت : انضبوا هذا المكان فأنضبوه، قالت : احتفروا واستخرجوا عظام يوسف، فلما أقلوها إلى الأرض إذ الطريق مثل ضوء النهار**) رواه أبو يعلى والحاكم، وقال صحيح على شرط البخاري

ومسلم، ووافقه الذهبي، ورجاله رجال الصحيح كما قال الهيثمي، وصححه الألباني في الصحيحة.

وعن ربيعة بن كعب الأسلمي رضي الله عنه قال : كنت أبيت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأتيته بوضوئه وحاجته، فقال لي : (**سل**) فقلت: اسألك مرافقتك في الجنة، قال: (**أو غير ذلك**)، قلت: هو ذاك، قال: (**فأعني على نفسك بكثرة السجود**)) رواه مسلم.

٣. وأيضا من الأدلة أن المائة درجة – التي أعلاها الفردوس – أعدها الله تعالى للمجاهدين في سبيله كما سبق في حديث أبي هريرة، فيكون الفردوس مما أعد للمجاهدين.

وجاء عن فضالة بن عبيد رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: (**أنا زعيم** – والزعيم الحميل – **لمن آمن بي وأسلم وهاجر ببيت في ربض الجنة وببيت في وسط الجنة، وأنا زعيم لمن آمن بي وأسلم وجاهد في سبيل الله ببيت في ربض الجنة وببيت في وسط الجنة وببيت في أعلى غرف الجنة، فمن فعل ذلك فلم يدع للخير مطلبا ولا من الشر مهربا، يموت حيث شاء أن يموت**) رواه النسائي والحاكم، وقال الذهبي صحيح على شرط البخاري ومسلم، وصححه الألباني في صحيح النسائي.

فيدل هذا أن أعلى درجة من الجنة – وهي الفردوس – مما أعد للمجاهدين، وأفضل المجاهدين هم الشهداء، فلابد أن يكون منهم خلق في هذه الدرجة.

٤. ومن الأدلة أيضا على أن الشهيد في الفردوس الأعلى قوله صلى الله عليه وسلم: (**أفضل الشهداء الذين يقاتلون في الصف الأول، فلا يلفتون وجوههم حتى يقتلوا، أولئك يتلبطون في الغرف العلى من الجنة، يضحك إليهم ربك، فإذا ضحك ربك إلى عبد في موطن، فلا حساب عليه**) رواه أحمد والطبراني عن نعيم بن هبار رضي

الله عنه، وصححه الألباني في صحيح الجامع، وقال البوصيري في الإتحاف والهيثمي في المجمع ورواته ثقات، وصحح إسناده المناوي في التيسير.

وقد سبق أن الغرف العلى من أسماء الفردوس الأعلى.

٥. ومن الأدلة أيضا عن أنس بن مالك رضي الله عنه : أن أم الربيع بنت البراء – وهي أم حارثة بن سراقة – أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: يا نبي الله ألا تحدثني عن حارثة – وكان قتل يوم بدر أصابه سهم غرب – فإن كان في الجنة صبرت، وإن كان غير ذلك اجتهدت عليه في البكاء ؟ قال (**يا أم حارثة إنها جنان في الجنة، وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى**) رواه البخاري.

قال الحافظ في الفتح ((أتاه سهم غرب) أي لا يعرف راميه أو لا يعرف من أين أتى أو جاء على غير قصد من راميه قاله أبو عبيد) انتهى كلامه.

فهذا حارثة استشهد يوم بدر، وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه في الفردوس الأعلى.

وهذه الدرجة هي أعلى منازل الشهداء ودرجاتهم وأعلى درجات المجاهدين، والدرجة والمنزلة بمعنى واحد كما ذكر ذلك المناوي في الفيض، ونقله الحافظ في الفتح عن أبي عبيدة في تفسير الدرجات قال: (أي منازل).

قال الطيبي كما في المرقاة: (منزلة درجة الشهيد الذي نال من درجات الشهادة أقصاها وغايتها هو الفردوس الأعلى) انتهى كلامه.

وإنما قلنا إن الفردوس الأعلى لبعض الشهداء وليس لكلهم، لما ورد من أن الشهداء يتفاضلون وليسوا على درجة واحدة كما سيأتي بيانه إن شاء الله.

وقد ورد في مسند أحمد وسنن أبي داود عن عبيد بن خالد رجل من بني سليم قال : آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين رجلين، فقتل أحدهما ومات الآخر بعده، فصلينا عليه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**ما قلتم ؟**) قالوا : دعونا له أن يغفر له، وأن يرحمه،

وأن يلحقه بصاحبه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (**فأين صلاته بعد صلاته، وعمله بعد عمله، أو صيامه بعد صيامه ؟**) قال: (**إن ما بينهما كما بين السماء والأرض**) وصححه الألباني في صحيح أبي داود.

فهذا الرجل قد استشهد وعلاه الآخر بدرجة، لإنه قال: (**ما بينهما كما بين السماء والأرض**) وهذا مقدار درجة في الجنة كما ورد في الأحاديث الأخرى إن ما بين الدرجة والدرجة كما بين السماء والأرض، ومعلوم أن الفردوس الأعلى أعلى درجة في الجنة، وليس فوقه درجة، وليس فوقه إلا العرش، فلو كان الرجل الذي استشهد في الفردوس الأعلى لما علاه الآخر بدرجة.

وأيضا عن عتبة بن عبد السلمي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (**القتلى ثلاثة: رجل مؤمن، جاهد بنفسه وماله في سبيل الله، حتى إذا لقي العدو قاتلهم حتى يقتل، فذلك الشهيد الممتحن في خيمة الله تحت عرشه، لا يفضله النبيون إلا بفضل درجة النبوة، ورجل فرق على نفسه من الذنوب والخطايا، جاهد بنفسه وماله في سبيل الله، حتى إذا لقي العدو قاتل حتى يقتل، فتلك ممصمصة محت ذنوبه وخطاياه، إن السيف محاء للخطايا، وأدخل من أي أبواب الجنة شاء، فإن لها ثمانية أبواب، ولجهنم سبعة أبواب، وبعضها أفضل من بعض، ورجل منافق، جاهد بنفسه وماله، حتى إذا لقي العدو قاتل في سبيل الله عز وجل حتى يقتل، فذلك في النار، إن السيف لا يمحو النفاق**) رواه أحمد والطبراني بإسناد جيد كما قال المنذري وابن النحاس، وقال الهيثمي: (ورجال أحمد رجال الصحيح خلا المثنى الاملوكي وهو ثقة).

فالشهيد الأول في الفردوس، والثاني أدون منه فلا يكون فيها.

رابعا : الجهاد في سبيل الله :

الجهاد في سبيل الله أعظم وأفضل أعمال الإسلام، فلا غرو أنه سيؤدي إلى الفردوس الأعلى ويوصل إليه، فقد قال صلى الله عليه وسلم : (**وأما ذروة سنامه فالجهاد**) رواه الحاكم ورواه الترمذي وغيره مطولا، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، أي أعلى

أعمال الإسلام فضلا وأجرا، وقد جاء أيضا أنه بالجهاد يوصل إلى الفردوس الأعلى، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (**إن في الجنة مائة درجة أعدها للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتموا الله فاسألوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة، وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة**) رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**الجنة مائة درجة بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، وإن الفردوس أعلاها درجة ومنها تفجر أنهار الجنة الأربعة ومن فوقها يكون العرش فسلوه الفردوس**) رواه الترمذي، وصححه الألباني في صحيح الجامع.

فأخبر أن في الجنة مائة درجة أعدت للمجاهدين، وأن أعلى هذه المائة الفردوس الأعلى.

وجاء عن فضالة بن عبيد رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: (**أنا زعيم** – والزعيم الحميل – **لمن آمن بي وأسلم وهاجر ببيت في ربض الجنة وببيت في وسط الجنة، وأنا زعيم لمن آمن بي وأسلم وجاهد في سبيل الله ببيت في ربض الجنة وببيت في وسط الجنة وببيت في أعلى غرف الجنة، فمن فعل ذلك فلم يدع للخير مطلبا ولا من الشر مهربا، يموت حيث شاء أن يموت**) رواه النسائي والحاكم، وقال الذهبي صحيح على شرط البخاري ومسلم، وصححه الألباني في صحيح النسائي.

فقد بين بهذا الحديث أن الجهاد سبب للوصول إلى ربض الجنة وإلى وسط الجنة وإلى أعلى غرف الجنة، وذلك بحسب جهاد الشخص كما وكيفا، فكلما علا جهاد الشخص كما وكيفا، كلما ارتفعت درجة الشخص في الجنة، حتى يبلغ بالجهاد الفردوس الأعلى.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (**من رضي بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا وجبت له الجنة**) فعجب لها أبو سعيد فقال : أعدها علي يا رسول الله فأعادها عليه، ثم قال: (**وأخرى يرفع الله بها للعبد مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض**) قال : وما هي يا

رسول الله ؟ قال :(**الجهاد في سبيل الله**) رواه مسلم.

فأخبر في هذا الحديث أن الجهاد يرفع المجاهد مائة درجة في الجنة.

وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أيضا في الحديث الآخر أن الدرجة الواحدة من هذه الدرجات تنال بإبلاغ السهم في سبيل الله، فعن أبي نجيح السلمي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (**من بلغ بسهم في سبيل الله فهو له درجة في الجنة، فبلغت يومئذ ستة عشر سهما**) رواه النسائي والحاكم، وقال صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح الجامع.

وعن كعب بن مرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**ارموا، من بلغ العدو بسهم رفع الله به درجة**) فقال عبد الرحمن بن النحام : وما الدرجة يا رسول الله ؟ قال : (**أما إنها ليست بعتبة أمك، ما بين الدرجتين مائة عام**) رواه النسائي، وصححه الألباني في التعليقات الحسان.

وهذا عمل من أعمال الجهاد، وأفاد رفعة الدرجات.

وقال تعالى: ﴿ **لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا (٩٥) دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا** ﴾ [النساء/٩٦] ففضل المجاهدين على القاعدين برفعة الدرجات.

وليس من شرط المجاهد أن يستشهد حتى يبلغ الفردوس، بل لو جاهد الشخص الكفار لنال الفردوس ولو لم يستشهد، ولكن بحسب جهاده ونيته وطول عمره فيه وأعماله فيه، فمن قاتل الكفار ونكى فيهم وحضر عدة غزوات وإطلق مئات الطلقات وغير ذلك ليس كمن قاتل مرة واحدة ساعة من نهار ولم يحصل منه نكاية ولا غيرها.

خامسا : حفظ القرآن :

أنزل الله تعالى القرآن لتلاوته وحفظه وتدبره والعمل به، وأعد أعلى الأجور والفضائل لمن حفظه.

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**إن لله أهلين من الناس**) قالوا : يا رسول الله ! من هم ؟ قال (**هم أهل القرآن، أهل الله وخاصته**) رواه ابن ماجه، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه.

وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (**مثل الذي يقرأ القرآن وهو حافظ له مع السفرة الكرام البررة، ومثل الذي يقرأ وهو يتعاهده وهو عليه شديد فله أجران**) رواه البخاري.

وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**) رواه البخاري.

وحفظ القرآن سبب لرفعة الدرجات في الجنة ونيل الفردوس الأعلى الذي هو أعلى درجة فيها فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (**يقال لصاحب القرآن : اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلك عند آخر آية تقرأها**) رواه أبو داود وقال الألباني في صحيح أبي داود : حسن صحيح.

عن أم الدرداء قالت : دخلت على عائشة فقلت : ما فضل من قرأ القرآن على ممن لم يقرأه ممن دخل الجنة ؟ فقالت عائشة :(**إن عدد درج الجنة على عدد آي القرآن، فليس أحد ممن دخل الجنة أفضل ممن قرأ القرآن**) رواه ابن أبي شيبة وضعفه الألباني في السلسلة الصحيحة.

وروي بلفظ وإسناد آخر عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**عدد درج الجنة عدد أي القرآن فمن دخل الجنة من أهل القرآن فليس فوقه درجة**) رواه البيهقي في الشعب، وقال الألباني في السلسلة الضعيفة إنه منكر.

فحديث ابن عمرو يدل على أن عدد درجات الجنة بحسب عدد آي القرآن، وأن من أتم حفظ كتاب الله تعالى فله أعلى درجة في الجنة وهي الفردوس الأعلى، وكفى بهذا شرفا لحافظ القرآن.

وقد سبق أن ذكرنا أن أهل الفردوس الأعلى هم خاصة الله من خلقه، وهنا ذكر في حديث أنس السابق أن أهل القرآن هم أهل الله وخاصته، فهذا يدل على أنهم من أهل الفردوس الأعلى، ولكن يشترط أن يكون عاملا بما فيه.

سادسا: حسن الخلق :

جاء الإسلام بالحث على حسن الخلق مع الناس، والتمسك بالأخلاق الحسنة، وذم الأخلاق السيئة والرديئة، وجعل عليه من الفضائل الشيء العظيم، فقال صلى الله عليه وسلم: (**ما من شيء يوضع في الميزان أثقل من حسن الخلق، وإن صاحب حسن الخلق ليبلغ به درجة صاحب الصوم والصلاة**) رواه الترمذي عن أبي الدرداء وصححه الألباني في صحيح الجامع.

وقد جاء الأدلة تدل على أن حسن الخلق مما يوصل إلى الفردوس الأعلى قال صلى الله عليه وسلم : (**أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقا، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحا، وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه**) رواه أبو داود عن أبي أمامة، وحسنه الألباني في صحيح الجامع.

وعبء هذه العبادة عظيم لمن عرف الناس ومما تسببه مخالطتهم.

سابعا : كثرة الصلاة والسجود:

جاءت الأدلة الكثيرة تدل على فضل الصلاة، بل جاء أن أفضل الأعمال الصلاة على وقتها، ففي الصحيحين من حديث ابن مسعود رضي الله عنه أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم: أي العمل أو أي الأعمال أحب إلى الله ؟ فقال: (**الصلاة على وقتها**...).

ومن الأدلة على فضل الصلاة ما جاء عن ثوبان رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**عليك بكثرة السجود فإنك فإنك لا تسجد لله سجدة إلا رفعك الله بها درجة وحط عنك بها خطيئة**) رواه مسلم، وهذا الفضل يفيد أن الصلاة مما يرفع الله به الدرجات في الجنة.

وقد جاء أن كثرة الصلاة توصل إلى الفردوس الأعلى، فعن ربيعة بن كعب الأسلمي رضي الله عنه قال : كنت أبيت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأتيته بوضوئه وحاجته، فقال لي : (**سل**) فقلت: اسألك مرافقتك في الجنة، قال (**أو غير ذلك**) قلت: هو ذاك، قال: (**فأعني على نفسك بكثرة السجود**) رواه مسلم.

والمراد بكثرة السجود هنا الصلاة، إذ السجود الغير مرتبط بالصلاة وهو سجود التلاوة وسجود الشكر وإن كان داخلا في مطلق الحديث، فهو مرتبط بسبب، ويقل حدوثه، بخلاف الصلاة والنوافل.

وفي هذا الحديث أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن كثرة السجود تكون سبب لمرافقته في الجنة، والمراد من المرافقة هنا المرافقة في درجة الفردوس، وليس في مطلق دخول الجنة، إذ هذا ثابت لجميع المسلمين، فلم يكن لتخصيصه زيادة فضل.

ثامنا: كفالة اليتيم:

الدين الإسلامي دين الرحمة والشفقة، ومن محاسن الدين الإسلامي أنه جاء بالإحسان إلى اليتيم، وأمر به، وجعل له فضائل كثيرة.

قال تعالى: ﴿ **وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ** ﴾ [البقرة/١٧٧].

وقال تعالى: ﴿ **فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ** ﴾ [الضحى/٩] وقال تعالى: ﴿ **كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ** ﴾ [الفجر/١٧] وقال تعالى: ﴿ **فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ** ﴾ [الماعون/٢].

وقال تعالى: ﴿ **وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا** ﴾ [الإنسان/٨].

ونهى القرآن عن أكل مال اليتيم في آيات كثيرة، وجعله النبي صلى الله عليه وسلم من الموبقات.

وقد جاء أيضا أن كفالة اليتيم سبب في الوصول إلى الفردوس الأعلى من الجنة، فقال صلى الله عليه وسلم: (**أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة**) وأشار بالسبابة والوسطى، وفرق بينهما قليلا) أخرجه البخاري، وقال صلى الله عليه وسلم: ((**كافل اليتيم له أو لغيره أنا وهو كهاتين في الجنة، إذا اتقى الله**) وأشار مالك بالسبابة والوسطى) رواه مسلم.

قال في عون المعبود: (قال العلقمي : فيه إشارة إلى بين درجة النبي صلى الله عليه وسلم وكافل اليتيم قدر تفاوت ما بين السبابة والوسطى) انتهى.

فأخبر في هذا الحديث أن كفالة اليتيم سبب في مرافقة النبي صلى الله عليه وسلم في الجنة والقرب منه.

ومعنى كفالة اليتيم : القيام بأموره، والسعي في مصالحه من طعامه وكسوته وتنمية ماله إن كان له مال، وإن كان لا مال له أنفق عليه وكساه ابتغاء وجه الله تعالى.

تاسعا : من عال جاريتين حتى تبلغا:

كان العرب في الجاهلية يبغضون البنات والإناث، ويعدونهن عارا على الرجل، ويأدونهن وهن أحياء، ويسيئون إليهن، فجاء الإسلام بعكس هذه العقيدة، وجاء بالإحسان إليهن

والشفقة عليهن، والأمر بالقيام عليهن، وجعل لذلك فضائل عظيمة، فعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال : قال صلى الله عليه وسلم: (**من كان له ثلاث بنات فصبر عليهن وأطعمهن وسقاهن وكساهن من جدته كن له حجابا من النار يوم القيامة**) رواه ابن ماجه، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه.

بل وجعل ذلك من أسباب الوصول إلى الفردوس الأعلى، فعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو**) وضم أصابعه) رواه مسلم.

والمراد بـ (عال) من العول، وهو يطلق في الغالب على القيام بمؤنة البدن من الكسوة والطعام والشراب والسكن والفراش وغير ذلك.

وروى الإمام أحمد عن أنس أو غيره قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((**من عال ابنتين أو ثلاث بنات أو أختين أو ثلاث أخوات حتى يمتن أو يموت عنهن كنت أنا وهو كهاتين**) وأشار بأصبعيه السبابة والوسطى) فجعل هذا العمل سبب لمرافقة النبي صلى الله عليه وسلم في الفردوس الأعلى.

عاشرا : الدعاء بالفردوس :

أمر الله تعالى عباده بدعائه، ووعدهم بالإجابة إن هم دعوه وسألوه، والله يحب من عباده أن يسألوه، ويغضب على من لم يسأله، لأنه سبحانه كريم جواد لذاته، بل هو أكرم من سأل وأوسع من أعطى، وخزائنه ملأى لو أعطى كل شخص مسألته ما نقص من خزائنه وملكه شيء، فإن عطاؤه كلام، ومنعه كلام، إذا أراد شيئا قال له كن فيكون، ولطيف لما يشاء إذا أراد شيئا سهل له أسبابه ويسرها.

والدعاء من أكرم العبادات على الله تعالى، وأحبها إليه، وأنجعها في حصول المطلوب، ونيل المبتغى، وقضاء الحاجات، فإنها متعلقة القدير الجواد مباشرة، فما إن ترفع يديك إليه حتى

تتصل بالحي القيوم مباشرة بلا وسائط، الذي بيده تدبير الكون أجمع، ويستحي أن يرد يدي عبده صفرا إذا رفعهما إليه.

ومن أعظم ما يطلب من الله تعالى الفردوس الأعلى، فهو السعادة الكبرى التي ليس بعدها سعادة، وقد جاء الدليل بالحث على سؤاله من الله تعالى بخصوصه في أكثر من حديث فقال صلى الله عليه وسلم :(**فإذا سألتموا الله فاسألوه الفردوس**) رواه البخاري عن أبي هريرة.

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**الجنة مائة درجة بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، وإن الفردوس أعلاها درجة، ومنها تفجر أنهار الجنة الأربعة، ومن فوقها يكون العرش، فسلوه الفردوس**) رواه الترمذي، وصححه الألباني في صحيح الجامع.

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (**الجنة مائة درجة، كل درجة منها ما بين السماء والأرض، وإن أعلاها الفردوس، وإن أوسطها الفردوس، وإن العرش على الفردوس، منها تفجر أنهار الجنة، فإذا ما سألتم فسلوه الفردوس**) رواه ابن ماجه، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه.

وعن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**إذا سألتم الله تعالى فاسألوه الفردوس فإنه سر الجنة يقول الرجل منكم لراعيه عليك بسر الوادي فإنه أمرعه وأعشبه**) رواه الطبراني، وصححه الألباني بشواهده.

فلولا أن الدعاء سبب عظيم لنيل الفردوس الأعلى لما حث عليه الشارع، فالداعي بالفردوس على خير، إما أن يمن الله تعالى عليه ويوفقه للأعمال التي بها تنال الفردوس، أو أن يمن عليه بفضل دعائه بلا عمل إذا كان صادقا في طلبه كما قال صلى الله عليه وسلم في الشهادة التي بها ينال الفردوس: (**من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه**) رواه مسلم عن سهل بن حنيف رضي الله عنه.

قال الحافظ في الفتح في كلامه على حديث (**في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين....** (وفيه إشارة إلى أن درجة المجاهد قد ينالها غير المجاهد، إما بالنية الخالصة، أو بما يوازيه من الأعمال الصالحة، لأنه أمر الجميع بالدعاء بالفردوس، بعد أن أعلمهم أنه أعد للمجاهدين) انتهى كلامه.

الحادي عشر : محبة أهل الفردوس الأعلى :

قد ذكرنا فيما سبق من هم سكان الفردوس الأعلى، وقد جعل الرسول صلى الله عليه وسلم محبة القوم سبب في الكون معهم، وإن لم يعمل عملهم.

فعن أبي موسى رضي الله عنه قال : قيل للنبي صلى الله عليه وسلم الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم ؟ قال: (**المرء مع من أحب**) رواه البخاري.

وعن أنس رضي الله عنه : أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الساعة فقال: متى الساعة ؟ قال (**وماذا أعددت لها**)، قال : لا شيء إلا أني أحب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، فقال (**أنت مع من أحببت**)، قال أنس : فما فرحنا بشيء فرحنا بقول النبي صلى الله عليه وسلم: (**أنت مع من أحببت**)، قال أنس : فأنا أحب النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم، وإن لم أعمل بمثل أعمالهم) رواه البخاري.

فمن أحب أهل الفردوس الأعلى من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، فسيكون معهم في المنزلة، وإن لم يعمل عملهم.

الثاني عشر : السبق إلى الأعمال الصالحة والمبادرة إلى الخيرات :

الأعمال الصالحة جميعا سبب في رفعة الدرجات في الجنة، فمن عمل صالحا من قليل أو كثير ارتفعت درجته في الجنة بحسب عمله، حتى يكون منتهى رفعته إلى الفردوس الأعلى،

قال تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا** ﴾ [الكهف/١٠٧] وقال: تعالى: ﴿ **وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (١٠) أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ** ﴾ [الواقعة ١٠-١١] فبين أن السابقين إلى الأعمال الصالحة هم المقربون، وقد سبق أن المقربون هم أهل الفردوس الأعلى، فتكون المسابقة إلى الأعمال الصالحة من أسباب بلوغ الفردوس الأعلى.

قال ابن كثير: (من سابق إلى هذه الدنيا وسبق إلى الخير، كان في الآخرة من السابقين إلى الكرامة، فإن الجزاء من جنس العمل، وكما تدين تدان) انتهى.

الثالث عشر : خصال سورة المؤمنون :

ذكر الله تعالى في كتابه خصالا، وذكر أن أصحاب هذه الخصال هم الذين يرثون الفردوس الأعلى، وإليك أخي هذه الخصال وبيانها :

وهي : الخشوع في الصلاة، إيتاء الزكاة، الإعراض عن اللغو، حفظ الفرج، حفظ الأمانة والعهد، المحافظة على الصلاة.

قال تعالى: ﴿ **قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (٤) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٥) إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٦) فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٧) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (٨) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٩) أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (١٠) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** ﴾ [المؤمنون ١-١١].

وإليك تفسير هذه الآيات من الوجيز للواحدي : ((**الذين هم في صلاتهم خاشعون**) ساكنون لا يرفعون أبصارهم عن مواضع سجودهم (**والذين هم عن اللغو معرضون**) عن كلِّ ما لا يجمل في الشَّرع من قولٍ وفعلٍ (**والذين هم للزكاة فاعلون**) للصدقة

الواجبة مؤدون (**والذين هم لفروجهم حافظون**) يحفظونها عن المعاصي (**إلا على أزواجهم**) من زوجاتهم (**أو ما ملكت أيمانهم**) من الإماء (**فإنهم غير ملومين**) لا يلامون في وطئهنَّ (**فمن ابتغى**) طلب ما (**وراء ذلك**) ما بعد الزَّوجة والأَمَة (**فأولئك هم العادون**) المتعدُّون عن الحلال إلى الحرام (**والذين هم لأماناتهم**) ما ائتمنوا عليه من أمر الدِّين والدُّنيا (**وعهدهم راعون**) وحلفهم الذي يُوجد عليهم راعون يرعون ذلك ويقومون بإتمامه (**والذين هم على صلواتهم يحافظون**) بإدائها في مواقيتها) انتهى كلامه.

الرابع عشر : التحاب في الله تعالى :

الحب في الله والبغض في الله من أوثق عرى الإيمان، وتدل على كمال المحبة لله تعالى، وقد جاء فيها فضائل عظيمة جدا كما قال صلى الله عليه وسلم :(**إن من عباد الله لأناسا ما هم بأنبياء ولا شهداء، يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله تعالى**) قالوا: يارسول الله تخبرنا من هم ؟ قال: (**هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها، فوالله إن وجوههم لنور، وإنهم على نور لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس، وقرأ هذه الآية {ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون }**) رواه أبو داود عن عمر رضي الله عنه، وصححه الألباني في صحيح أبي داود.

وقال صلى الله عليه وسلم :(**إن المتحابين بالله في ظل العرش**) رواه الطبراني عن معاذ رضي الله عنه، وصححه الألباني في صحيح الجامع.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**ما أحب عبد عبدا لله إلا أكرمه الله عز وجل**) رواه أحمد، وجود إسناده الألباني في الصحيحة.

وقد جاء أن المحبة في الله من أسباب بلوغ الفردوس، فقال صلى الله عليه وسلم: (**إن المتحابين في الله لترى غرفهم في الجنة كالكوكب الطالع الشرقي أو الغربي، فيقال: من**

هؤلاء؟ فيقال : هؤلاء المتحابون في الله عز وجل) رواه أحمد، وقال الهيثمي ورجاله رجال الصحيح.

وقد سبق أن هذا الوصف في العلو جاء في وصف الفردوس كما في حديث (**إن أهل الجنة يتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب، لتفاضل ما بينهم**) قالوا : يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم، قال (**بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين**) رواه البخاري.

الأعمال التي جاء في الشرع أنها مما يرفع الله به الدرجات في الجنة مطلقا:

أولا: الابتلاءات والمصائب:

الابتلاء هو الامتحان، وقد جعل الله الابتلاءات والمصائب امتحانا لعباده على صدق إيمانهم، فمن صبر واحتسب فله الأجر العظيم، بل جاء أن الصابرون عليها يعطون أجرهم بغير حساب، وذلك يدلك على عظم أجر الصبر على المصائب والابتلاءات، قال تعالى :﴿ **إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ** ﴾ [الزمر/١٠] وقد جاء أيضا أن المصائب والابتلاءات مما يرفع الله به درجة العبد في الجنة إذا صبر عليها، فقال صلى الله عليه وسلم: (**ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها إلا كتبت له بها درجة ومحيت عنه بها خطيئة**) رواه مسلم عن عائشة رضي الله عنها.

وقال صلى الله عليه وسلم: (**صداع المؤمن أو شوكة يشاكها، أو شيء يؤذيه، يرفعه الله بها يوم القيامة درجة، ويكفر عنه ذنوبه**) رواه ابن أبي الدنيا.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**إن عظم الجزاء مع عظم البلاء**) رواه الترمذي، وصححه الألباني في الصحيحة.

وقال صلى الله عليه وسلم : (**إذا سبقت للعبد من الله تعالى منزلة لم ينلها بعمله، ابتلاه الله في جسده وفي أهله وماله، ثم صبره على ذلك حتى ينال المنزلة التي سبقت له من الله عز وجل**) رواه أحمد، وحسنه المناوي في الفيض.

قال المناوي في الفيض : (وفيه إشعار بأن للبلاء خاصية في نيل الثواب، ليس للطاعة وإن جعلت مثلها، ولذلك كان ما يصيب الأنبياء شديد) انتهى كلامه.

وقال أيضا : (والمقصد من الحديث الإعلام بفضل البلاء، وأنه مظنة لرفع درجات العبد وإن قل عمله) انتهى كلامه.

وروى البيهقي في الشعب والحاكم عن أبي سليمان قال: (أن موسى عليه الصلاة والسلام مر برجل في متعبد له، ثم مر به بعد وقد فرقت السباع لحمه، فرأس ملقى، وفخذ ملقى، وكبد ملقى، فقال: يا رب كان يطيعك فابتليته بهذا، فأوحى الله إليه إنه سألني درجة لم يبلغها بعمله، فابتليته لأبلغه تلك الدرجة) ذكره المناوي في الفيض.

ورفعة الدرجات مما يوصل إلى الفردوس الأعلى، فإذا رأى العبد بنفسه كثرة البلاءات والمصائب فليعرف أنه أريد به خيرا، وأنه إنما أريد به رفعة الدرجات في الجنة، قال صلى الله عليه وسلم (**من يرد الله به خيرا يصب منه**) رواه البخاري.

والابتلاءات والمصائب على قسمين :

١. مصائب سببها طاعة الله تعالى، فهذه من صبر عليها فله أجر على صبره، وهي تكفير لسيئاته، وهي أيضا في ذاته تكون أجرا، فهو يؤجر عليها من جهتين، من جهة صبره عليها، ومن جهة ذاتها أيضا تكون أجرا كما قال تعالى :﴿ **ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ** ﴾ [التوبة/١٢٠]. فأخبر أن الظمأ والنصب والمخمصة التي تصيبهم في سبيل الله وفي طاعة الله – وهي من المصائب – ونيلهم من العدو وإغاظة الكفار وهي من العبادات كلها يكتب بها عمل صالح، فجعل نفس المصيبة من العمل الصالح.

٢. مصائب ليس سببها طاعة الله، فهذه يؤجر على صبره عليها فقط وتكون تكفيرا لسيئاته، ولا يؤجر عليها في نفسها.

وهذا اختيار شيخ الإسلام كما في الفتاوى.

ثانيا : انتظار الصلاة بعد الصلاة :

وانتظار الصلاة بعد الصلاة فضلها عظيم كما ورد في النصوص، فقد ورد أن الرجل لا يزال في صلاة ما دام أنه ينظر الصلاة، وورد أن الملائكة تدعو للمصلي وتستغفر له ما دام جالسا في مصلاه، فقال صلى الله عليه وسلم (**الملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مصلاه ما لم يحدث، اللهم اغفر له، اللهم ارحمه، لا يزال أحدكم في صلاة ما دامت الصلاة تحبسه لا يمنعه أن ينقلب إلى أهله إلا الصلاة**) رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وهو أيضا مما ترفع به الدرجات في الجنة، فقال صلى الله عليه وسلم: (**ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات ؟**) قالوا : بلى يا رسول الله، قال :(**إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطى إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط**) وفي رواية (**فذلكم الرباط، فذلكم الرباط**) رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ثالثا : كثرة الخطا إلى المساجد:

وهذا أيضا سبب في رفعة الدرجات في الجنة وتكفير السيئات كما في حديث أبي هريرة السابق وفيه (**وكثرة الخطى إلى المساجد**).

وأعظم الخطا إلى المساجد أجرا هي الخطا إلى الصلاة الجمعة، بقيود ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم فقال: (**من غسل يوم الجمعة واغتسل، وبكر وابتكر، ومشى ولم يركب،**

ودنا من الإمام، فاستمع ولم يلغ، كان له بكل خطوة عمل سنة أجر صيامها وقيامها) رواه أحمد وأبو داود عن أوس بن أوس رضي الله عنه، وصححه الألباني في صحيح أبي داود، وهذا الحديث من أعظم ما ورد في الإسلام أجرا وفضلا.

رابعا : إسباغ الوضوء على المكاره :

ومعنى إسباغ الوضوء : أي إتمامه وإكماله باستيعاب المحل بالغسل، وتكرار الغسل ثلاثا، ومعنى على المكاره : أي ما يكرهه الإنسان ويشق عليه، أي يتوضأ مع برد شديد، أو ألم جسد أو نحوه، جاء هذا أيضا أنه من أسباب رفعة الدرجات في الجنة كما في حديث أبي هريرة السابق وفيه (**إسباغ الوضوء على المكاره**) وهذا من المكروهات والمصائب المترتبة على الطاعات.

خامسا : العلم :

طلب العلم وتحصيله من أفضل الأعمال والعبادات، وقد ورد في ذلك النصوص الكثيرة، فمن ذلك، قال صلى الله عليه وسلم: (**من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب وإن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، إنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر**) رواه أبو داود وغيره، وحسنه الألباني في التعليقات الحسان.

وقد ورد أيضا أن تحصيل العلم سبب في رفعة الدرجات في الجنة قال تعالى: (**يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات**) ومن ثم تكون سبب في بلوغ الفردوس الأعلى من الجنة.

سادسا : سد فرج الصفوف في الصلاة :

وهذا أيضا مما يرفع الله به الدرجات في الجنة، قال صلى الله عليه وسلم: (**من سد فرجة بنى الله له بيتا في الجنة ورفعه بها درجة**) رواه المحاملي في الأمالي عن عائشة رضي الله عنها وصححه الألباني في الصحيحة.

سابعا : ذكر الله تعالى :

وذكر الله تعالى من أفضل الأعمال، وهو أيضا سبب في رفعة الدرجات في الجنة، فعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قال صلى الله عليه وسلم: (**ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والورق وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ؟**) قالوا : بلى يا رسول الله، قال :(**ذكر الله**) رواه أحمد والترمذي، وصححه الألباني في صحيح الجامع.

ثامنا : من شاب في الإسلام :

والشيب في الإسلام له فضل عظيم، فعن عمرو بن عنبسة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**من شاب شيبة في الإسلام كانت له نورا يوم القيامة**) رواه أحمد وأبو داود.

وهو أيضا سبب لرفعة الدرجات في الجنة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**لا تنتفوا الشيب فإنه نور يوم القيامة، من شاب شيبة في الإسلام كانت له بكل شيبة حسنة ورفع بها درجة**) رواه ابن حبان وحسن إسناده الألباني في الصحيحة.

تاسعا: دعاء الولد لوالده :

قد سبق بيان أنه يمكن بالدعاء بلوغ الفردوس الأعلى، وهذه الفقرة تابعة للدعاء، وهي ما يتعلق بدعاء الولد لوالده بعد وفاته فهي سبب لرفعة الدرجات في الجنة وإن لم يعمل الوالد الأعمال التي تبلغه تلك الدرجات، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال صلى الله عليه وسلم: (**إن الرجل لترفع درجته في الجنة، فيقول : أنى هذا ؟ فيقال : باستغفار ولدك لك**) أخرجه أحمد وابن ماجه، وصححه الألباني في الصحيحة..

وقد ورد أن من الأعمال التي تجري على العبد بعد وفاته دعاء الولد الصالح لوالديه فقال صلى الله عليه وسلم: (**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاثة، إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**) رواه مسلم.

عاشرا : الطواف بالبيت :

من خصائص الكعبة المشرفة الطواف بها، وقد جعل الشارع الحكيم لذلك فضائلا، منها ما جاء عن ابن عمر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**من طاف بالبيت سبعا وصلى ركعتين كان كعدل رقبة**) رواه ابن ماجه، وصححه الألباني في صحيح الجامع.

والطواف بالبيت مما يرفع الله به الدرجات في الجنة، فقال صلى الله عليه وسلم: (**من طاف بالبيت أسبوعا لا يضع قدما ولا يرفع أخرى إلا حط الله بها عنه خطيئة وكتب له بها حسنة ورفع له بها درجة**) رواه ابن خزيمة وابن حبان، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب.

الحادي عشر : الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم :

للصلاة على النبي صلى الله عليه سلم فضائل كثيرة منها أنها سبب في رفعة الدرجات فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (**من صلى علي صلاة واحدة، صلى الله عليه عشر صلوات، وحطت عنه عشر خطيئات، ورفعت له عشر درجات**) رواه النسائي، وصححه الألباني في صحيح النسائي.

* * * *

۞ الباب السادس : من لا يدخل جنة الفردوس الأعلى

لما كان الفردوس الأعلى أفضل الجنة وأشرفها، وأقرب الجنان إلى العرش وخصه الله بجواره، لم يصل إلى هذه الدرجة أي أحد، بل لا يصل إليها إلا الصفوة من البشر كما تقدم، فهناك أناس منعوا من دخول الفردوس لوجود موانع من ذلك، ومن أشهر هذه الموانع قصور العمل، فهو عائق عن دخول الفردوس الأعلى، فإن الدرجات بالأعمال كما تقدم.

ومن ذلك أيضا ما جاء عن أَنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(**لا يلج جنان الفردوس مدمن خمر، ولا عاق، ولا منان عطائه**) رواه أحمد والبزار، وفي رواية الطبراني في الأوسط (**حظيرة القدس**) بدل (**جنان الفردوس**) وفي رواية أحمد (**حائط القدس**) وفيه علي بن زيد وفيه ضعف لسوء حفظه، ولكن جاء له شاهد قوي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أنه قال: (**لا يدخل حظيرة القدس سكير ولا عاق ولا منان**) رواه ابن خزيمة في التوحيد وصححه الألباني في الصحيحة، وروى ابن أبي شيبة عنه قال: (**لا يدخل حظيرة القدس متكبر**) وهذا له حكم الرفع لأنه لا يقال بالرأي.

قال ابن خزيمة في التوحيد: (فمعنى هذه الأخبار التي ذكرنا : من فعل كذا - لبعض المعاصي - حرم الله عليه الجنة، أو لم يدخل الجنة، معناها : لا يدخل بعض الجنان التي هي أعلى وأشرف وأنبل وأكثر نعيما وسرورا وبهجة وأوسع، لا أنه أراد لا يدخل شيئا من تلك الجنان التي هي في الجنة....) ثم أتى بأثر عبد الله بن عمرو السابق، انتهى كلامه.

وعلى هذا أيضا يمكن أن يقال أن من أسماء الفردوس حظيرة القدس.

وعن عبد الله بن الحارث قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**إن الله عز وجل خلق ثلاثة أشياء بيده : خلق آدم بيده وكتب التوراة بيده وغرس الفردوس بيده ثم قال : وعزتي لا يسكنها مدمن خمر ولا ديوث**) فقالوا: يا رسول الله قد عرفنا مدمن الخمر فما الديوث ؟ قال صلى الله عليه وسلم (**الذي ييسر لأهله السوء**) رواه البيهقي في الأسماء والصفات وقال هذا مرسل.

۞ الباب السابع : علو الهمة

الهمة : هي ما يطلبه الإنسان، ويقصده، والباعث له على طلبه، فإذا كان ما يطلب عاليا سمي عالي الهمة، وإن كان ما يطلب سافلا ودنيئا سمي دنئ الهمة، سواء كان ذلك في أمور الدنيا أو الآخرة، فبعض الناس يكون عالي الهمة في أمور الدنيا دون الآخرة، فهو يبحث عن أعلى المراتب في الدنيا، ولا يرضى بالحضيض وأن يكون من عامة الناس، وبعض الناس يكون عالي الهمة في أمور الآخرة دون الدنيا، فهو يبحث عما يرفع درجاته في الآخرة وعن أعلى المنازل في الجنة، ولا يرضى بالربض ولا يلتفت إلى الدنيا، وبعض الناس من يكون عالي الهمة في الدنيا والآخرة.

وكثير هم الذين يكونون عند أمور الدنيا من علاة الهمم، فتجد أحلامهم فيها وهممهم عالية، فتجدهم يفكرون في أوسع البيوت في الدنيا وأفضلها، وأعلى المناصب فيها، وكيف يجنون أكبر قدر من الأموال، وكيف يحصلون على أفضل السيارات، مع أن كل هذا المتاع وكل هذه الدنيا زائلة، ولكنهم عندما تأتي أمور الآخرة تجدهم من أسفل الناس همة، فتجد أحدهم لا همة له في الآخرة البتة، فلا يفكر في جنة ولا نار، ولا في عمل صالح ولا غيره، وأعلى من هذا من تجده منهمكا في الدنيا وفي المعاصي وهمته ألا يطول بقاؤه في النار، وأعلى من هذا من همته فقط في النجاة من النار، ولا يفكر في الجنة ونعيمها، وأعلى من هذا من همته في النجاة من النار والفوز بالجنة، وهذا وإن كانت همته علية، فهو ناقص الهمة أيضا، فهناك همة هي أعلى الهمم لتعلقها بأعلى الأمكنة، فهناك أشخاص تجاوزت همم الثريا وعلو السماء حتى وصلت إلى الفردوس الأعلى، فلا همة في الآخرة أعلى من هذه الهمة، إذ ليس هناك أعلى من هذه الدرجة والمنزلة فيطلب، وليس هناك مطلوب بعد رضا الله تعالى أعلى من هذا، وعلى حسب الهمم السابقة تكون الأعمال، كما أنه بحسب الأعمال تكون الدرجات، فعمل صاحب الهمة الدنيا ليس كعمل صاحب همة الفردوس الأعلى، فكل على حسب همته.

فحري بنا أن نعلي هممنا ما دمنا في هذه الحياة، وما دامت الفرصة سانحة قبل فوات الأوان، وقبل يوم التغابن، حين نرى غيرنا قد علت درجاتهم وعلا نعيمهم، وعلت مكانتهم، ونحن في الربض، فنتحسر ونندم ولات ساعة مندم.

ولكي يعلي المسلم همته عليه بما يلي :

أولا : لابد له من أن يعترف بقصور همته ودنوها، وهذا أمر أوليٌّ لا محيد عنه حتى يستطيع تغييرها، فرجل يعتقد أن همته في حصول الجنة فقط هي الهمة العليا التي ليس فوقها شئ، فماذا سيطلب فوق هذا.

ثانيا : عليه أيضا أن يتعلم مراتب الأعمال ومراتب الأجور، فيتعلم الفرق بين الأعمال وما الأفضل منها والأعلى، وينظر في مراتب الأجور، وما هو الأعظم أجرا ويقارن بينه وبين الأدنى أجرا.

ثالثا : عليه أن ينظر ويقارن بين ما أعد الله لأهل الدرجات العليا من الجنة، وما أعد لمن هو دونهم.

رابعا : عليه أن يخلي قلبه وهمته من التعلق بالسفليات من الشهوات والدنيا والهوى، وينزعها من قلبه، بالنظر إلى عاقبتها الدنيئة، ثم يعلقها بالعلويات والأمور العالية بالنظر إلى عاقبتها.

خامسا : النظر في تفاوت الهمم والفرق بينها، ومؤدى كل همة، ومعرفة الثمرة من كل همة، فإن الهمة إذا علت علت الثمرة، وإذا سفلت الهمة سفلت الثمرة، فانظر إلى شخص لا يفكر ولا يهتم إلى بما يقربه إلى الله تعالى ويعلي درجته عنده والنعيم الأعلى من الجنة، وإلى شخص لا يفكر إلى بكيفية قضاء شهواته وتحصيلها ولو على حساب دينه، فانظر إلى مابين الهمتين من التفاوت، فالهمة هي التي تعلي الشخص حتى تجعله في عليين وتسفله حتى تجعله في أسفل سافلين.

سادسا : النظر في سير السلف الصالح، ومصاحبة علاة الهمم، والبعد عن البيئات المثبطة، فإن النفوس بطبعها لا تحب أن يعلى عليها، فإذا رأت علاة الهمم أعلى منها

تحدت وبادرت بالمنافسة وقويت على سلوك الطريق وتحمل الشدائد والتأسي بذوي الهمم العالية، وأن لا يكون أحد أفضل منها.

سابعا : تجنب الأمور التي تسفل الهمة من الكسل والتسويف ومجالسة السفلاء وأهل الدنيا.

وأخيرا قال المتنبي :

عجبت لمن له قد وخد ... وينبو نبوة القضم الهمام

ومن يجد الطريق إلى المعالي ... فلا يذر المطي بلا سنام

ولم أر في عيوب الناس عيبا ... كنقص القادرين على التمام

وقيل :

إذا أعجبتك خلال امرئ ... فكنه يكن منك ما يعجبك

فليس على الجود والمكرمات ... إذا جئتها حاجب يحجبك

*   *   *   *

۞ خاتمة

وفي الختام، أذكر إخواني القراء بأن الفردوس الأعلى هو أعلى مطلب يطلب بعد رضا الله تعالى، وقد حوى من النعيم واللذات والفضائل العظيمة ما جعله كذلك، وقد مر في هذه الرسالة بعض ذلك، فاختر لنفسك منزلتك ومكانتك ومسكنك في الآخرة، فالاختيار بيدك، والثمن وهو العمل تملكه وتقدر عليه، وبحسب قيمة نفسك يكون اختيارك.

هذا والله أسأل أن يرزقنا الفردوس الأعلى من الجنة بفضله ورحمته وأن لا يحرمنا فضله بذنوبنا إنه أهل التقوى وأهل المغفرة وأهل الإكرام والإنعام.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

* * * *

فهارس